جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية

انعكاسات النمط الحضري على البدو الرحل دراسة أنثروبولوجية بمنطقة شعيبة بسكرة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

من إعداد الطالبة:

نايلي إيناس

تحت إشراف الأستاذة:

أ.د جيماوي نتيجة

السنة الجامعية: 2022/2021

كل إناء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع

عِلْمُ الْعَلِيمِ وَعَقْلُ الْعَاقِلِ اِخْتَلَفَا . . . مَنْ ذَا الَّذِي فِيهِمَا قَدْ أَحْرَزَ الشَرَفَا

فَالْعِلْمُ قَـالَ أَنَا أَحْرَزْتُ غَايَتُهُ . . . وَالْعَقْلُ قَـالَ أَنَا الرَّحْمَنُ بِيْ عُرِفَا

فَأْفْصَحَ الْعِلْمُ إفْصَاحَاً وَقَـالَ لَهُ: . . . بأَيِّنَا اللهُ فِيْ فُرْقَانِـهِ اِتَّصَفَا

فَبَانَ لِلْعَقْلِ أَنَّ الْعِلْمَ سَـيِّدُهُ . . . وَقَبَّلَ الْعَقْلُ رَأْسَ الْـعِلْمِ وَاِنْصَرَفَا

إهداء الى كل من سبقوني على دروب العلم.

وإهداء أخر الى نفسي ثم نفسي ثم نفسي

واشكرها على مرورها بكل لحظات التعب والإرهاق والجهد النفسي والجسمي بكل عزيمة دون استسلام.

شكر وتقدير

قبل كل شيء احمد الله عز وجل الذي أنعمني بنعمة العلم ووفقني الى بلوغ هذه الدرجة وأقول: " **اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى**".

إن واجب الاعتراف بالجميل والفضل، يملي على وانا انهي مذكرتي هذه، أن أتقدم بفائق شكري وتقديري الى:

_أستاذتي ومشرفتي، الأستاذة جيماوي نتيجة على قبولها الإشراف على هذه المذكرة ولما منحت لي من وقت وجهد وتوجيه، وإرشاد وتشجيع، ودعم لإنجاز هذا العمل.

_كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الى جميع أساتذتي الأفاضل

_عرفاني الأكيد الى كل زملائي الذين كانوا عونا لي

_الى من سعدني من قريب أو من بعيد

_الى كل من بذل معي جهدا ووفر لي وقتا، أو نصح لي قولا، اسأل الله أن يجزيكم عني خير جزاء

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
إهداء	02
الشكر والتقدير	03
فهرس المحتويات	04
مقدمة	أ
الجانب المنهجي والنظري للدراسة	09
الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة	10
1. الإشكالية	11
2. أهمية الموضوع	12
3. أهداف الدراسة	13
4. أسباب اختيار الموضوع	13
5. تحديد المفاهيم	14
6. منهجية وأدوات الدراسة	17
7. مجالات للدراسة	21
8. صعوبات الدراسة	25
9. الدراسات السابقة	26
الفصل الثاني: لمحة عن تاريخ البدو الرحل في الجزائر	31
1. إشكالية كتابة تاريخ البدو الرحل في الجزائر	32
2. ملامح المجتمع الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي	32
3. التنظيمان الاجتماعي والاقتصادي (الأرض_القطيع) للبدو الرحل	37
4. حركة البدو الرحل في الجزائر	43

5. الاحتلال الفرنسي واستهداف البدو الرحل.....44
6. البدو الرحل بعد الاستقلال..... 50
الفصل الثالث: الرحل وشبه الرحل.....55
1. المقاييس الكلاسيكية.....56
2. المقاييس الموضوعية.....57
3. المقاييس الذاتية.....64
الفصل الرابع: الجانب الميداني للدراسة..... 67
1. تحليل بيانات المحور الأول.....68
2. تحليل بيانات المحور الثاني..... 71
3. تحليل بيانات المحور الثالث.....112
4. نتائج الدراسة.....121
خاتمة.....125
قائمة المراجع.....149

المقدمة العامة

المقدمة:

" البدو الرحل " كثيرا ما ترددت هاتين الكلمتين على مسامع الجغرافيين حينما نتكلم عن السهول العليا الجزائرية، وتبقى ولاياتها التي تعد من الولايات الداخلية للجزائر العميقة أكثرها معرفة بهم وهؤلاء الرحل كانوا محط اهتمام الكثير من الباحثين والمؤرخين منذ فجر التاريخ لان هناك صراع بين البدو والحضر، وقد علق عليه الكثير من باحثي ألانثروبولوجيا وعلماء الاجتماع ،نذكر منهم ابن خلدون الذي كان في نظره : أن البدو ينقسمون إلى فئات ثلاث حسب بعدهم عن المراكز الحضرية . "ألابالة الذين يعتمدون على الإبل في معيشتهم ويقومون برعايتها والبقارة أي رعاة الضأن والبقر، الممتهنون للزراعة الذين يعيشون نوعا ما على الاستقرار والبداوة". [1]

ومن جهة أخرى يرى لوجلي " أن البدو ...هم أعضاء الجماعات البشرية الذين مازالوا يحيون آو يتبعون في حياتهم على أسلوب التنقل أو شبه التنقل أو شبه الاستقرار ، وعادة ما تكون إقامتهم في مواقع إقامة قبائلهم المعتادة حتى وان اتخذ هذا الاستقرار صفة الديمومة "...[2] ويمكن القول آن هناك اتفاق ضمني وليس لفظي على أن البدو هم أولئك الناس الذين يعتمدون التنقل الدائم مع قطعانهم والذي يتخلله فترات استقرار محدودة .وعلى هذا الأساس فان حرفة الرعي تشكل النمط الأساسي الذي تعتمد عليه حياة هؤلاء الناس في مفهومها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

لقد حاولت هذه الدراسة تتبع بعض من جماعات البدو الرحل لأولاد رحمة واولاد عيسى وأولاد دراج الذين يفدون كل سنة إلى منطقة لازرو الواقعة شمال– شرق ولاية باتنة لفهم أسباب ترحالهم وسر إستمراره على الرغم من كل التحديات الحاصلة اليوم في زمن طغت فيه الأسواق وأصبحت المدن مركز الحضارة التي تدور حولها حياة الإنسان بلا منازع ؛ ومن خلال الفترة التي أتيحت لنا معايشتهم وملاحظتهم عن قرب جاء بحثنا هذا عبارة عن اربعة فصول حاولنا فيها تشريح أهم معالم هذا النوع من العيش

وصبر أغواره في الماضي والحاضر في محاولة لاستبيان أوجهه المختلفة، ولقد قمنا في الفصل الأول بطرح إشكالية البحث وأهم التساؤلات التي تنطلق منها هذه الدراسة متبعة بتحديد أهميتة وأهداف هذا الموضوع، وأسباب إختيارنا له ثم قدمنا بعد ذلك على تحديد مفهوم الترحال والمفاهيم الأخرى التي تدور في فلكه وكذا تحديد المجال الزماني والمكاني للدراسة بعدها تطرقنا إلى الجانب المنهجي للدراسة حيث استعرضنا منهجية البحث وادواته، ثم بعد ذلك الصعوبات التي واجهتنا تم جمة من الدراسات التي تناولتها إذ حاولنا مناقشتها وتصنيفها حسب الظروف التي أثرت في محتوياتها والأهداف التي أنجزت من أجلها.

في الفصل الثاني خصصناه لإعطاء لمحة تاريخية عن البدو الرحل في الجزائر، لماذا يواجه هذا التاريخ إشكالية في كتابته، ما هي ملامح المجتمع الجزائري قبل وبعد الإستعمار الفرنسي، ما هي تنظيماته الإجتماعية والإقتصادية، لماذا أستهدف المستعمر البدو الرحل دون غيرهم وكيف أثر ذلك على حياتهم؟ بعدها تطرقنا إلى حياة الترحال بعد الإستقلال كيف أصبحت وما هي أهم المراحل التي تخطتها وصولا إلى الحال التي آلت إليه اليوم.

اما في الفصل الثالث فقد عملنا على مناقشة المقاييس الكلاسيكية والموضوعية والذاتية التي كان يفرق على اساسها بين الرحل والشبه الرحل.

أما الفصل الرابع فقد تتبعنا فيه حركة صعودهم إلى التل، توقيتها، مراحلها وأهم علاقاتهم الإجتماعية والإقتصادية بمنطقة لازرو من إحتكاك بالناس ، بالمدينة والسوق حتى يقفلوا راجعين إلى الصحراء؛ وبما أنه كان من الضروري فهم فسيفساء المعطيات الميدانية من تنوع لحياة الترحال وإختلافها، كما تناولنا الإنتاج الرعوي والاقتصادي عند البدو الرحل حيث تناولنا إحدى أهم قواعده بمدلولها الحسابي،الرمزي والإجتماعي وكذا الأسس العقلانية التي تحكمه وتفرقه عن غيره من الأنماط الإنتاجية الحديثة مسترسلين في شرح مختلف ميكانزماته وما يتعرض له في الوقت الراهن من تحديات ومستجدات،

وهذا إعتقادا منا بعلاقة هذا المحور المباشرة بسر بقاء الترحال وإستمراره؛ يلي هذا الفصل خاتمة عامة أوجزنا فيها مجمل الأفكار الرئيسة التي دارت حولها هذه الدراسة ، وفي النهاية وبشكل مستقل أدرجنا قائمة لأهم المراجع المعتمدة وقائمة الملاحق، الأول كان للخرائط والثاني عبارة عن صور فوتوغرافية ألتقطناها طيلة سيرورة هذا البحث تدعيما لحصر الأوجه المختلفة للميدان الدراسة.

الإطار المنهجي
والنظري للدراسة

الفصل الأول

الإطار المنهجي للدراسة

1. الإشكاليـــة:

استقطب توطين واستقرار البدو كظاهرة اهتمام الكثير من الباحثين، والدارسين على اختلاف تخصصاتهم ويرجع اهتمام الباحثين بالبدو لسببين أساسين أولاهما تاريخي ويتجلى في الأدوار التي لعبها البدو ضمن الصيرورة التاريخية لتشكل المجتمع وكذا استمرارية ظاهرة توطين البدو وتأثيرها على النسق العام للمجتمع وانعكاساته على تغير البنية العمرانية لضواحي المدن.

ومن أهم وأخطر مشكلات المدينة اليوم هو التوسع على المحيط والضواحي التي كان بالأمس القريب الغابة التي نجلب منها الأشجار للتدفئة أو الأرض التي نزرعها ونقتات منها أو المرعى الذي نرعى فيه الأغنام ونربي فيه الحيوانات.

من جهة أخرى ويمكن القول أن هناك أوساط لها تأثير على أشكال الاستيطان البشري مثل الأنهار والسهول وغيرها وحتى الشطوط الغنية بموارد المياه والأعشاب التي يحتاجها أصحاب البادية والرحل مثل حالة جنوب الشط الشرقي في الجنوب الغربي للجزائر.

و ما يشد انتباه الناظر أو المسافر أثناء مروره ببعض الطرقات الوطنية و الولائية أو حتى البلدية منها على مستوى ولاية بسكرة ، تلك الخيام أو ما يطلق عليه السكان المحليون "القواطن أي مجموع قيطون والخيم "القيطون هو شبه خيمة مصنوع من البلاستيك الخشن و المكرر أو في بعض الحالات من القماش المكرر الخشن التي تتخذها عائلات البدو الرحل سكنات مؤقتة لها قبل الانتقال إلى المجمعات العمرانية ومناطق أخرى بحثا عن سبل حياة لهم ولمواشيهم التي لا تفارقهم في رحالهم و ترحالهم ،أو الاستقرار في المدينة وما تقدمه لهم من خدمات ووظائف لا يمكن الاستغناء عنها اليوم" .

وأخيرا نعود أمام هذا الجدل القائم حول الإنسان والطبيعة لنسأل عن حقيقة وضعية حياة الترحال اليوم في الجزائر، كيف تستمر وما هي مكوناتها الحالية؟

وإذا كانت بعض الدراسات الاقتصادية والسوسيولوجيا قد توقعت زوال هذه الظاهرة فلا شك أن بداية بحث ودراسة أنثروبولوجية حول الظاهرة قد أصبح أكثر من ضرورة لمعرفة كيف استطاع البدو الرحل اليوم التأقلم مع المعطيات المعاصرة من مدن، أسواق وأنماط الإنتاج الحديثة؟

وعليه تمحورت إشكالية دراستنا هذه حول التساؤل الرئيسي التالي: كيف أثرت الانعكاسات الحضرية على البدو الرحل في منطقة الشعيبة؟

ويندرج تحت هذا التساؤل العديد من الأسئلة الفرعية المتمثلة في:

- كيف تأثر الانعكاسات الحضرية على الإنتاج الرعوي للبدو الرحل؟
- كيف تأثر الانعكاسات الحضرية على الحياة الاقتصادية للبدو الرحل؟
- ما مدى تأثير المدخلات الحضرية الحديثة على النمط الثقافي والاجتماعي للبدو الرحل؟

2. أهمية الموضوع:

يكتسي موضوع البدو الرحل أهميته في كونه يتطرق إلى تركيبة من المجتمع الجزائري تشكل جزءا هاما من ذاكرته، فالبدو الرحل صنعوا الحدث منذ ما يقارب الستة قرون في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة، أي ابتداءًا من مجيء الهلاليون إلى المنطقة في القرن الحادي عشر حيث ويعود أغلب سكان جزائر اليوم إلى هذه الأصول، ودراستنا لا تهتم بالجانب التاريخي في الموضوع أكثر مما تهتم بالجانب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لما تبقى من بدو رحل في الجزائر مازالوا يمارسون حياة الحل والترحال راغبين من خلال ذلك إلى إخراج هذا المجتمع المهمش والتقليدي إلى النور ومحاولين فهم التفاعلات الحاصلة معه اليوم مع ما تعرفه الحياة من تعقيدات العصرنة والحداثة.

إن معرفة الذات هي في الأهمية مكان لتحديد الهوية، هذه الهوية التي لعب الاستعمار الفرنسي على طمسها وتحطيمها، وهذه الدراسة (ونرجو أن تكون كذلك)

محاولة للمصالحة مع جزء منا، من مجتمعنا نجهله وأحيانا أخرى نظنه غريبا عنا بينما نحن في الأصل منه، وسنرى كيف يؤثر جهلنا هذا بمجتمعنا على وضع أبسط القواعد الإحصائية لحصره، فما بالك بوضع سياسات بأكملها لتنميته بينما هي لا تأخذ بعين الاعتبار أدنى خاصية من خصائصه.

3. أهداف الدراسة:

لا تخلو أي دراسة علمية من جملة من الأهداف تصبو إلى تحقيقها ونحن في هذا المقام أردنا بالدرجة الأولى معرفة الأسباب الحقيقية التي تسمح باستمرار هذه الحياة القديمة إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى فهم منطق العيش عند الإنسان والذي يمكن أن يتخذ صورا عديدة تتحكم فيه عوامل بيئية– ثقافية هي أكثر غنا من تلك الصور التي تريد العولمة اليوم فرضها كبديل حتمي للتطور الإنساني.

من أهداف دراستنا هي توضيح خصائص هذا المجتمع وكيف أثرت المدينة في تغير عاداتهم وتقاليدهم وكيف قام هذا المجتمع بالتواكب مع هذه المعطيات.

4. أسباب اختيار الموضوع:

أ. الأسباب الذاتية:

إن الميول الأنثروبولوجي الأول إلى ضرورة دراسة مجتمع صغير وبعيد يحقق الشروط المثالية في أداء عمل أنثروبولوجي متكامل خاصة من الناحية المنهجية مما جعلنا نختار موضوع البدو الرحل لما يعرفه هذا المجتمع من تواجد مستقل اجتماعيا واقتصاديا وأيضا بما أني عينة من مجتمع الدراسة فهذا سيسهل عني الكثير من المهام والفهم أكثر لهذا المجتمع.

ب. الأسباب الموضوعية:

هذه الاستقلالية عن هذا المجتمع جعلتنا نرغب في خوض التجربة الأنثروبولوجية للتمرس في الميدان أولا، ثانيا لتقديم عمل علمي يرقى إلى استحقاق نيل شهادة الماستر، لكن وبعد الغوص في أغوار هذا الموضوع تحولت العلاقة به إلى أكثر من ذلك، لقد أصبح اكتشافا بالنسبة لنا، يشكل – على الرغم من الدراسات الكثيرة التي أجريت حوله– مادة خام من الناحية السوسيو_أنتروبولوجية، لأننا كباحثين نقف أمام فرصة ثمينة لملاحظة التغيرات الحاصلة اليوم في هذا المجتمع التقليدي حيث تتاح لنا إمكانية الوقوف على الاختلافات الكبيرة الموجودة بين الأجيال فيه وكيف يتفاعل أفراده في التكيف مع العصرنة؟ وهذه في الحقيقة صورة مر بها المجتمع الجزائري جملة، لكن مشهدها هذا لا يزال حيا مفعما بالأحاسيس التي تترك الباحث يعيش بأكثر فهم واستيعاب لما حدث في الماضي.

5. تحديد المفاهيم:

أ. مفهوم البداوة (nomadisme):

التعريف اللغوي:

أخذت الكلمة من بدو وتعني بدا الشيء يبدوا أي ظهر، وأخذت كلمة بدو من البادية اسم الأرض التي لا حضر فيها ويسكنها أهل البادية الرعاة المتنقلين فقد خرجوا من الحضر إلى الرعي والصحراء قيل بدوا بداوة والبدو خلاف الحضر وقيل بدا من هذا لأنهم بدوا من الأرض والبادية خلاف الحاضرة والبدوي خلاف الحضري والبداوة خلاف الحضارة[1].

1 معنى البداوة، قاموس المعاني، ص،201410

التعريف الاصطلاحي:

يعرف الدكتور إحسان محمد الحسن إن مصطلح البداوة على النحو التالي ' يستعمل هذا المصطلح في وصف الطبيعة وحياة الناس الذين يعيشون في الصحاري ويسكنون في الخيام ويتجولون من مكان لآخر بحثا وراء العشب والماء .وفي إطار تحديد هذا المفهوم نجد ابن خلدون وسم صورة تعريفية للبداوة والإنسان البدوي بقوله " أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من القيام على الأنعام وإنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات ،الملابس ،المساكن وسائر الأحوال والعوائد ، ومقتصرين عما فوق ذلك من حاجي وكمالي ، يتخذون البيوت من الشعر والوبر.[1]

التعريف الإجرائي:

نستنتج من هذه التعاريف أن البداوة هي نمط حياة الناس الذين يعيشون في الصحاري ويسكنون في الخيام ويتجولون من مكان الى أخر بحثا عن الكلأ والماء رعاة للمواشي.

ب. من هم البدو (Nomades):

التعريف اللغوي:

هي جمع للمصدر بدأ حسب قاموس المعاني:

أهل البادية وسكَّانها من القبائل العربيَّة الرُّحّل "يمثِّل البدو نسبة كبيرة من سكَّان العالم العربيّ[2]"، " البادية، خلاف الحضر " {وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ}."[3]

1 أ.د رشود الخريف (خصائص المجتمعات البدوية) قسم الجغرافيا –جامعة الملك سعود ص06.

2 معنى البدو، قاموس المعاني، ص،201410

3 سورة يوسف، الآية 100

التعريف الاصطلاحي:

هم سكان البادية الرعاة الرحل الذين يسكنون الخيام ويعيشون على رعي الإبل والماشية ويتنقلون من مكان لآخر طلبا للماء والكلأ. في قاموس لسان العرب البدو هم ضد الحضر، والبادية خلاف الحاضرة سواءً من العرب أو سواهم، بكل الأحوال فالاستعمال الحالي لمصطلح بدو أو أعراب، يشير إلى العالم العربي في شمال إفريقيا والشرق الأوسط من البدو الرّحل.[1]

التعريف الإجرائي:

هم سكان البادية معروفون بكثرة ترحالهم من تل الى الصحراء صيفا ومن صحراء الى التل شتاءًا بحثا عن الكلأ والماء لمواشيهم هم رعاة المواشي والإبل كما يعرفون باسم الرحل أيضا وذلك لترحالهم.

ت. القبيلة (la tribu):

التعريف اللغوي:

كيان اجتماعي اقتصادي سياسي يضم عائلات تجمعها روابط الدم. وتخضع لرئيس واحد، لها عادات وأعراف خاصة (فقهية).[2]

التعريف الاصطلاحي:

يعطي الأستاذ فيليب خوري وصفا دقيقا لبنيات **القبيلة** وركائزها عندما يصفها بأنها "نظام وهي الأصل في المجتمع البدوي، فكل خيمة تمثل أسرة والمعسكر المكون من عدة خيام يسمى حيا، وأعضاء الحي الواحد يسمون قوما، ومجموعة الأقوام القريبة النسب يكونون **قبيلة**، يخضعون لرئيس واحد هو أسن أعضاء القوم، يتداعون إلى الحرب بصوت

1 معنى بدو، قاموس المعاني، ص50، 2014.

2 معنى قبيلة، قاموس المعاني، ص،2014110.

واحد، ويضيفون كلمة بني إلى الاسم الذي يجمعهم، ويتكلمون لغة واحدة وينتمون إلى أصل مشترك، كما يشتركون في ملكية منطقة من لأرض".[1]

التعريف الإجرائي:

وهي تأتي على أرس التنظيم الاجتماعي للمجتمعات البدوية وإنها ظاهرة عالمية ويكاد تكون موجودة في معظم هذه التجمعات وهي مجتمع اقتصادي وسياسي وإداري وقضائي ويرأسها أمير أو شيخ القبيلة وسلطته الوراثية ترتكز على العصبية، وتظم القبيلة عدة جماعات داخلية ابتداء من الأسرة إلى والمجتمع القبلي مجتمع متماسكا يتصف بالتضامن وسيادة روح الجماعة.[2]

ث. الانعكاسات الحضرية:

التعريف الإجرائي:

هي تلك المخلفات او التغيرات الحاصلة على البدو الرحل وذويهم جراء انتقالهم الى حياة الحضر سواءا كانت هذه التغيرات ظاهرة مرئية للعيان او غير ظاهرة بل تحدث على المستوى النفسي لهم، وهذه التغيرات تشمل كل من الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

6. المنهج وأدوات الدراسة:

يعرف المنهج بأنه الطريقة التي يتعين على الباحث أن يلتزم بها في بحثه حيث يتقيد بإتباع مجموعة من القواعد العامة، التي تهيمن على سير البحث ويسترشد بها في سبيل الوصول إلى الحلول الملائمة للمشكلة إن إنجاز بحث ما يتطلب بالضرورة اعتماد منهج معين[3].

1 د. الفوال صلاح مصطفى، علم الاجتماع البدوي، سلسلة كتب علم الاجتماع والتنمية، الكتاب الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1974م، ص 207.

2صلاح مصطفى الفوال، البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1983ص211.

3العاني داوود عبد القهار، منهج البحث والتحقيق في الدراسات العلمية والانسانية،2014، دمشق، دار وحي القلم، ص16

ووفق التساؤل الرئيسي والمتمحورة حول "تأثير النمط الحضري على البدو الرحل بمنطقة الشعيبة"، اقتضت الضرورة المنهجية الى اعتماد **المنهج الاثنوغرافي** وهو منهج الوصفي للواقع، واستنتاج الدلائل والبراهين من مشاهدة الفعلية للظاهرة المدروسة.

وعرفه سميث وديلامونت على انه طريقة التي يتم كم خلالها وصف ثقافة مجتمع حيث أشار الى انه الدراسة التي يمكن القيام بها أو إجراؤها في السياق أو الموقف الطبيعي، حيث يقوم الباحث بجمع البيانات، أو الكلمات، أو الصور، ثم تحليلها بطريقة استقرائية، مع التركيز على المعاني التي يذكرها المشاركون. وحسب "ماير وهو يرمان" يهدف البحث الاثنوغرافي إلى الكشف عن "غير المتوقع" أو "المستور" أو " المسكوت عنه"، من خلال دراسة الظاهرة، اعتمادا على مشاركة الباحث المتعمقة لمجتمع الدراسة ويتميز المنهج الاثنوغرافي ب:

- المرونة في الطريقة والتحليل.
- القدرة على كشف عن الظواهر العفوية التي تظهر من خلال الممارسات والسلوكيات غير المقصودة خلال إجراء الدراسية.
- القدرة على كشف عن الظواهر العفوية التي تظهر من خلال الممارسات والسلوكيات غير المقصودة خلال إجراء الدراسة.
- يهدف الى فهم السلوك الإنسان دون التحكم مقصود او غير مقصود.
- يتم في مواقف طبيعية بدراسة السلوك في سياقه الطبيعي.
- يقوم على دراسة حالة واحدة لمجتمع صغير او جماعة معينة.
- يعتمد على ملاحظة المباشرة للباحث.
- يختبر ما يحدث فعليا دون الاعتماد على أراء مسبقة.
- يعتمد على جميع مكثف للبيانات تمتد لفترة زمنية قد تطول.[1]

1 دهان مريم،2017، المقاربة الاثنوغرافية، تعريفها، مميزاتها،علاقتها بدراسة الجمهور ،مجلة تاريخ العلوم،العدد8،الجزء الاول،ص33،ص34.

أما الأدوات المستعملة في جمع البيانات فتتمثل في:

أ. الملاحظة بالمشاركة: Observation Participante

يعرفها جورج لاباساد: " طريقة يشارك فيها الباحث في الحياة الاجتماعية لمجموعة موضوع البحث بهدف مضاعفة المعارف وهذه الطريقة تلقى المسافة الفاصلة بين الباحث وموضوع البحث وتحول الباحث من ثم الى الفاعل لا مجرد متفرج او غير محايد"[1].

في الواقع لم يكن لدينا في بداية الأمر أي تصور عن حقيقة الميدان وعن الطريقة التي سنبدأ العمل بها لإنجاز أهداف هذه الدراسة، لكن المبادرة بالاتصال بشكل فردي ومباشر بساكني الخيم – التي أخذنا مدة في مراقبتها– بدت لنا أسهل وأقصر الطرق لبلوغ المبتغى.

وبما أنني من أبناء المنطقة فلم يكن من الصعوبة عني التواصل معهم وفهمهم ومحاولة جاهدة لإفهامهم سبب زيارتي لهم، تقع هذه الخيم خارج المنطقة العمرانية فكان عليا الذهاب مشيا على الأقدام لمدة زمنية طويلة وهذا من الصعوبات التي واجهتني في دراسة الميدان.

كما أن البدو يملكون كلاب الحراسة والتي تكون شرسة على الغُرب فقد كنت مجبرة على الانتظار حتى يخرج أحد قاطنين الخيم ليروني أو الانتظار حتى عودة الرعاة بمواشيهم.

بعد زيارات خفيفة إلى كل من تعارفنا بهم في السياق السابق بدأت حلقة المعارف تتوسع كما بدأت كذلك نوعية العلاقة بالميدان تتغير، فالزيارات لم تعد تتخذ طابعا رسميا، كما أن حمل هدية بسيطة في اليد (حلوى، مشروبات، فواكه) مستحسن أيما استحسان عند الرحل وهو عادة ما يقابل بالمثل حيث عند الإنصراف يهم الرحال مسرعا لخيمته أو ينادي أحد ابنائه كي يحضر شيئا من التمر أو البيض يلفه في قطعة قماش وبوجه

1 علي هاشم، الملاحظة بالمشاركة، تقنية في البحث الاثنوغرافي، موقع انتروبوس، www.anthropos.com، يوم الزيارة 2022/05/13، على الساعة13:45.

سمح يخاطبك " *هاذي البراكة... اديها معاك*" ، كما أن الرحال يحب من يأكل طعامه دون تردد، ويستأنس لمن يهتم لحديثه ولا يحب كثرة الحركة أثناء ذلك ،وهو مولع بسماع القصص والمغامرات كما يستمتع بأحاديث العبر ويقدر معانيها أيما تقدير. إن التمرس في الميدان يجعل الباحث يمسك أكثر فأكثر بخيوطه فمعرفة أنساب الرحل، عاداتهم وتقاليدهم يسهل كثيرا عملية التواصل معهم والعيش بينهم.

ب. المقابلة: l'entrevue

هي تقنية من تقنيات لجمع معطيات ميدانيا أي تخضعها العديد من الباحثين اذ تعتبر موقف مواجهة بين شخصين او أكثر لتحقيق هدف معين[1].

ولأن الميدان ملك للذين يعيشون فيه وهم الأعرف بخباياه والأكثر إحساسا بأبعاده، كان علي أن أجري مقابلات للحديث مع المبحوثين ومحاولة طرح انشغالاتي وتساؤلاتي عليهم للاطلاع أكثر على مكنونات حياة الترحال وصبر اغوارها ، فكنت في البداية أعد بعض الأسئلة لتوجيهها لهم كلما أتيحت لي الفرصة في ذلك، لكنني لاحظت أن الراحل عندما يكون بمفرده لا يحبذ إطالة الكلام وينزعج كثيرا من أسلوب طرح الأسئلة عليه بشكل مباشر بينما تراه في وسط الجماعة يسترسل في الحديث ولا يحب المقاطعة حتى يكمل كلامه، فارتأيت وفقا لما تحسسته منهم من هذا الحرج والضغط البادیین على وجوههم عندما يكونون فرادى، فأستغللت الفرصة عندما يكونون مجتمعين لطرح بعض الأسئلة عليهم قصد الفهم اكثر.

ج. الاخباريين:

يتوقف نجاح الدراسة الحقلية إلى حد بعيد على حسن اختيار الإخباريين والتعاون معهم.

1 أميرة منصور، المقابلة رؤية منهجية في بحوث تعليم اللغة العربية، مجلة الأثار، العدد27ديسمبر 2016، الجزائر، ص215.

يعرف كل من جريك بايلي وجيمس بيولي الإخباريين انهم أشخاص الذين يسمحون للباحث الميداني بإجراء المقابلة معهم، أو يسمحون له بملاحظة سلوكاتهم، يسمون الإخباريين، وهم يقدمون عونا كبيرا للباحث. وهذه الوسيلة لا مناص للحصول على معلومات عن ثقافة مجتمع ما[1]، فالإخباريون هم أبناء المجتمع المحلي الذي يعمد إليه الباحث في إجراء دراسته الحقلية، باعتبارهم عارفين بجميع أحوال المنطقة.

ح. الصور الفوتوغرافية:

هي كل أداه يستخدمها الباحث لتسهيل وتحسين عملية البحث إذ يكون باستطاعته ان يطلع عما شاء في أي وقت يشاء[2]، وأنا كباحثة أنثروبولجية استعملت أداة التصوير والتسجيل الصوتي.

7. مجالات الدراسة:

أ. التحديد الزماني للدراسة:

يعتبر تحديد المجال الزماني والمكاني للدراسة جد هام لإجراء أي بحث علمي جاد، فبالنسبة لموضوعنا هذا اخترنا الفترة الممتدة بين (2020 – 2022)، وهذا الاختيار يعود أساسا إلى كون هذه المرحلة عرفت ضمنيا احتقانا اجتماعيا وركودا اقتصاديا كبيرين بسبب الأزمة الصحية التي مرى بها العالم و تأثر بها بشكل كبير وواضح البدو الرحل وذلك لعدم استطاعتهم على الانتقال و لا القيام بمرحلتي العشابة و العزابة مما اثر سلبا على إنتاجهم سواءًا الاقتصادي او الاجتماعي.

1 محمد حسن الغامري،1998، مقدمة في الأنثروبولوجيا عامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص116

2 نجيب بخوش،استخدامات وسائل السمعية و البصرية في العملية التعليمية،مجلة العلوم الانسانيةوالاجتماعية،جامعة بسكرة،ص1

ب. التحديد المكاني للدراسة:

أما فيما يخص المجال المكاني فقد اخترنا منطقتين

الاولى بلدية الشعيبة (ولاية اولاد جلال) لكونها منطقة صحراوية يتواجد بها البدو الرحل كما أنها منطقة يكثر بها الموالين أو ما يعرفون بمربوا المواشي أو تاجروا المواشي كما أنها كانت سابقا منطقة رعوية بامتياز لكن نتيجة للعوامل طبيعية فقط حل بها جفاف و تناقص فيها منسوب الماء و لإنها منطقة صحراوية فلعامل الحرارة دور و مساهمة في هذا الجفاف مما جعلهم كبدو رحل بطبيعة الحال للانتقال الى مناطق التل صيفا لاستفادة من المساحات الخضراء و من بين هذه المناطق بلدية الزرو ولاية باتنة وهذا التنافع يكون مقابل أجر يدفعه البدو الرحل لملاك الأراضي يتراوح بين 1000 دج إلى5000 دج للهكتار الواحد، لأن المنطقة لا تعرف استقرارا في نسبة تساقط الأمطار نظرا لمناخها الغير القار.

الموقع الجغرافي لبلدية الشعيبة:

بلدية الشعيبة او كما تعرف سابقا بلدية (شعيبة أولاد رحمة) نسبة لعرش أولاد رحمة الذي يقطنها يحدهم شمالا أولاد سليمان ببلدية بن سرور ولاية المسيلة وشرقا البوازيد ببلدية الدوسن وجنوبا أولاد ساسي ببلدية راس الميعاد دائرة اولاد جلال وغربا أولاد محمد المبارك المتواجدون ببلدية عين الريش وأولاد رابح والمتواجدين اغلبيتهم في بلدية عين فارس ولاية المسيلة من أولاد نايل.

وينقسم اليوم عرش أولاد رحمة (بسكرة) إلى ثلاث عروش فرعية وهم:(أولاد شتيوي،أولاد عمران،أولاد معمر).

تعتبر بلدية الشعبية منطقة ريفية رعوية حيث يمارس اغلب سكانها الرعي بالمواشي و ممارسة بعض الأنشطة الزراعة التقليدية الفلاحية من (البصل،الثوم) **(انظر الملحق رقم01)**.

بينما الثانية: بلدية لازرو ولاية باتنة

لكونها منطقة تلية ينتقلون اليها البدو الرحل كما أنها منطقة يكثر بها الموالين أو ما يعرفون بمربوا المواشي و الابقار أو تاجروا الابقار، يقصدها بدو الصحاري لمناطقها الشاسعة و لطافة هواءها على الذي لا يأذي الغنم،

الموقع الجغرافي لبلدية لازرو:

بلدية لازرو أو كما تعرف سابقا بلدية (عين عبيد) تغير اسمها سنة 1991، بعد تغير قانون البلديات لتشابه أسماء بعض البلديات، يحدها من الشمال الشرقي باتنة وفسديس ومن الجنوب بئر الشهداء (ولاية ام بواقي) و عين ياقوت، و من الشرق جرمة، ومن الغرب وادي الماء، عين جاسر،الحاسي.

تمتد بلدية لازرو على مساحة 168.34كلم ^{2} وتضم 5146 ساكن ما يمثل كثافة تقدر بـ:30 ساكن/ كلم ^{2}حسب RGPH2008

ذات توجه فلاحي، بلدية لازرو تتوفر على ثروات فلاحية هامة (إنتاج الحليب واللحوم) وتعتبر ممونة لكل جهة.

حيث تضم المساحة الإجمالية ب16043 هكتار، كما تبلغ المساحات الفلاحية الإجمالية ب16023 هكتار، كما تبلغ المساحات المزروعة الإجمالية ب10954 هكتار، كما أنها تحتوي على مراعي شاسعة تبلغ 4368 من إجمالي مساحة المنطقة.**(انظر الملحق رقم02)**

ت. المجال البشري:

يقصد بالمجال البشري عينات التي ستطبق عليها الدراسة ولكون إشكالية البحث تتعلق بالبدو الرحل فكان اختيارنا لعينات البحث من مجتمع البدوي ألا وهو الشعبية كانت العينات عبارة عن اثنا عشر (12) عائلة من العائلات البدوية تتراوح أعمارهم:

الشباب من26 الى 37 سنة

الشيوخ من55 الى 80 سنة

8. صعوبات الدراسة:

- صعوبة التنقل وعدم توفر وسيلة نقل لهذه المناطق البعيدة عن المدينة.
- كثرة الاعتماد على الإخباريين وعدم القدرة على كسب ثقة المبحوثين من البدو الرحل.
- صعوبة التأقلم مع المبحوثين ورهبة البدو الرحل من الغُرب.
- قصر مدة اللقاء وذلك لحكم طبيعة المجتمع المدروس وأيضا بعد المسافة التي لا تمكنني من الذهاب والعودة في نفس اليوم.
- صعوبة الطقس والمناخ في المنطقة المدروسة وقساوة حياة البدو التي لم تمكني من الاجتماع بهم كثير.
- طبيعة هذا المجتمع و من خصائصه كثرة الترحال و الرعي و معظم اوقاتهم تكون خارج خيمهم و هذا السبب لم يعطني الوقت للقائهم.
- نقص المراجع العربية التي تتكلم عن البدو الرحل وقلة خبرتي في ترجمة المراجع الفرنسية بلغة أكاديمية صحيحة.
- و من الصعوبات الشخصية الخاصة بالباحث هي مرضي الشديد في فترة التربص الميداني و ذلك سبب من الأسباب و من الصعوبات التي منعت تنقلي الطويل لخيم البدو الرحل.

9. الدراسات السابقة:

أ. دراسة مجاد خالد هي رسالة لنيل شهادة الماجستير بعنوان " آليات استقرار البدو الرحل بمنطقة جنوب الشط الشرقي (ولايـة البيـض)" هي دراسة ميدانية لبدو رحل بمنطقة جنوب الشط الشرقي هي تدخل ضمن تخصص علم اجتماع ثقافي قدمت سنة 2019/2018 بجامعة وهران2، قد طرح الطالب تساؤل رئيسي وهو كيف تم توطين واستقرار البدو الرحل بمنطقة جنوب الشط الشرقي ولاية البيض؟ ثم تطرق لمجموعة من التساؤلات الفرعية و هي:

- مدى انتشار و تمركز البدو الرحل في جنوب الشط الشرقي لولاية البيض؟ وهل هناك امتدادات أخرى في مناطق تمركزها بين الولايات المجاورة ومدى احترام البدو للحدود الوهمية بين الولايات أو البلديات ؟
- من جهة أخرى نشاهد في الساحة المحلية أن ولاية البيض لا تزال في المراكز الأولى كمصدر للثروة الحيوانية في الجزائر خاصة الأغنام بالرغم استقرار كبير للبدو الرحل وهجران وتحضر البدوا فكيف نفسر ذلك ؟
- استقرار البدو الرحل بطرق منظمة وغير منظمة موجود لكن كيف جعلهم يتخلون عن مهنتهم الرئيسية وتغيير نمط معيشتهم من الأنماط البسيطة إلى نمط أكثر تحضرا ؟ وما هي الأطراف الفعالة في استقرارهم ؟
- وبعد الانتشار على حواف المدن والاستقرار ما هي الحلول لهذا الانتشار العشوائي غير المنظم ؟

كما استعمل الباحث المنهج الوصفي التحليلي و الذي اعمتدنا نحن ايضا عليه في بحثنا فموضوع الدراسة يحتاج الى الوصف و التحليل النتائج.

اما فيما يخص الادوات فقط استعمل الباحث الاستبيان و الملاحظة المباشرة و المقابلة و هنا ايضا يوجد تشابه بين ادوات المستخدمة فنحن ايضا استخدمنا الملاحظة و المقابلة.

اما فيما يخص المفاهيم فقط ركز الباحث على تعريف البداوة و تعريف المجتمع التقليدي و البدوي و تعريف البدو الرحل و ايضا هنا يوجد تشابه من حيث المفاهيم

فكلانا تعرض لموضوع البدو الرحل و هذه التعريفات و المفاهيم مهمة في التعريف بالموضوع.

وقد خلص الباحث الى مجموعة من النتائج اوضحها بالتفصيل في الفصل الرابع.

اما الاستنتاج العام الذي استخلصه الباحث فهو " ان بدو رحل الشط الشرقي لولاية البيض سائرون نحو التوطن و الاستقرار و ان كثيرا منهم سار الى نمط التحضرواستقر استقرارا كليا بالمدينة كما ان البدو الرحل في جنوب الشط الشرقي فئة مهمشة ادريا ومحليا رغم عددهم المهم في المنطقة وما يقدمونه من عناية بالثروة الحيوانية ،البيولوجية والبيئية .وهم نقطة انطلاق التحضر الذي شهدته الولاية .فآليات استقرارهم يمكن ان تكون اكثر وضوح اذا تم ادراجها في قانون يحميهم في ايطار المحلي وتراب البلدية لأنهم في الاخير جزء من المجتمع والوطن الواحد.

ب. **دراسة غريبي نسيمة و اسماعين عيساوي:** هي رسالة لنيل شهادة الماجستير بعنوان" تجربة توطين البدو الرحل بالمدينة الصحراوية " بجامعة قسنطينة سنة2009، حيث طرحت الباحثة تساؤل رئيسي هو" كيف تم توطين البدو الرحل بالمدينة الصحراوية؟ ثم طرحت مجموعة من الاسئلة الفرعية وهي:

- ماهي امتدادات هذا التوطين الاجباري؟
- كيف واجه البدو الرحل هذا التوطين وماهي انعكاساته؟
- كيف كانت انعكاسات هذا التحول الاجتماعي والثقافي لهذا التوطين؟

- كما استعمل الباحث المنهج الوصفي التحليلي و الذي اعمتدنا نحن ايضا عليه في بحثنا فموضوع الدراسة يحتاج الى الوصف و التحليل النتائج.

اما فيما يخص الادوات فقط استعملت الباحثة الاستبيان و الملاحظة بالمعايشة و المقابلة و هنا ايضا يوجد تشابه بين ادوات المستخدمة فنحن ايضا استخدمنا الملاحظة بالمعايشة و المقابلة.

اما فيما يخص المفاهيم فقط ركزت الباحثة على تعريف المدينة الصحراوية وتعريف المجتمع البدوي و تعريف البدو والرحل و مفهوم التوطين و مفهوم الاستقرار و ايضا هنا يوجد تشابه من حيث المفاهيم فكلانا تعرض لموضوع البدو الرحل و هذه التعريفات و المفاهيم مهمة في التعريف بالموضوع.

وقد خلص الباحث الى مجموعة من النتائج اوضحتها بالتفصيل في الفصل السادس.

اما الاستنتاج العام الذي استخلصه الباحث فهو " ان المدينة الصحراوية الحديثة ماهي الى امتداد لبنايات القصور القديمة و ان البدو الرحل الذين تعرضوا لهذا النوع من التوطين الاجباري او القصري قد رفضوا هذه الحياة و امتهنوا الرعي و مارسوا الحياة البدوية بطابع تقليدي و فرضوه على ساحات المدينة الحديثة مما تنافى مع مقومات المدينة الجديدة الذي لازالت الدولة تحاول القضاء عليه .

لاحظنا تشابه في هذه الدراسة من حيث المفاهيم و الموضوع و حتا في الكثير من النتائج مما جعلنا نستعين بها في خدمة موضوع الدراسة.

ت. **دراسة فوزي مجمج:** هي مقاربة انثروبولوجية بعنوان" العولة عند بدو رحل اولاد ام لخوة" وهي دراسة ميدانية بمجلة المعيار المجلد رقم25 لسنة 2021 بالمركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ ، الانسان و التاريخ ملحقة عين مليلة ، ام بواقي، حيث تحدث فيها الباحث عن ممارسة طقس من طقوس البدو الرحل و المعروفين به خصوصي اهل الجنوب عند انتقالهم الى التل و يدعلرب"العولة" حين تعتمد هذه العولة على تخزين انواع من الاطعمة في شكلها المعلج و الغير معالج لمواجه الاوقات الصعبة من السنة .

تحدث الباحث عن مجموعة من المفاهيم من بينها مفهوم العولة والبدو الرحل، الرعي التقليدي، حفظ الطعام، كما تعرض ايضا الى عرش النوايل و عرش او لخوة كبطن من بطون هذا العرش الكبير، و ايضا تحدث عن مفاهيم اخرى كانت كمحاور في موضوع دراستنا و منها تقسيم العمل عند البدو الرحل، وممارسة النشاط الاقتصادي في الصيف و ايضا نظام الاكل و ايضا انواع العولة ، و على حسب راي فإن المنهج بما انه يصف الاحداث و الاحوال فهو منهج وصفي تحليلي، وختاما اخبرنا الكاتب ان العولة تحتل مكانا هاما عند البدو الرحل و هي عنصر اساسي و جد مهم في موضوعنا.

و قد استعنا بهذه الدراسة لتقاربها مع موضوع الدراسة جدا و خصوصي انها تتكلم في موضوع تطرقنا اليه و حاولنا الاستفادة منها.

الفصل الثاني

لمحة عن تاريخ البدو الرحل في الجزائر

1. إشكالية كتابة تاريخ البدو الرحل في الجزائر

لقد شكل تاريخ الجزائر بشكل عام و لوقت طويل جدلا لا يزال قائما إلى يومنا هذا، ففي كل مرحلة من مراحله تتضارب الآراء و تتعدد حول الحكم على تلك الأحقاب، هل كانت فترات سوداء من تاريخنا أم أنها كانت أهم مراحل نشوء هذه الأمة و تبلور شخصيتها؛ إننا اليوم عندما نبحث عن معالم الحياة التي سادت خلال فترة معينة في الجزائر نجد أنفسنا أمام تاريخ انتقائي[1]، و موضوع البدو الرحل بشكل خاص يخضع إلى هذا الإجحاف لأن الجزائر المتحررة من هيمنة الاستعمار تأبى إلا أن تكون معاصرة و لا يحبذ الجزائري – خاصة الموقف الرسمي منه – بأن ننعت أننا من حضارة رعوية[2] وذلك حسبهم يدعم المواقف و الآراء الاستعمارية التي أدت إلى إحتلال هذه الأرض ،الموصوفة من طرف الفرنسيين من قبل أنها أرض رعاة مهجورة [3].

إن جل ما كتب عن البدو الرحل من طرف المستعمرين يوعز لهم الجهل والتخلف فهم أمة لا صلة لهم بالحضارة! فكان التاريخ بعد الاستقلال يهمشهم والدارسات السوسيولوجية والاقتصادية لا تكاد تذكرهم إلا أنهم بقايا أمة قد إندثرت.

2. ملامح المجتمع الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي

يبدو أن المجتمع الجزائري لم تطرأ عليه تغيرات كبيرة منذ أن وصفهم ابن خلدون في القرن 14م، فبغض النظر عن تغير نمط السلطة التي أصبحت في يد الأتراك منذ 1518م، فإن الميكانيزمات التي كانت تسير المجتمع الجزائري بقيت على ما هي عليه منذ ذلك العهد.

---

1 M’hamed Boukhobza, L'agro– pastoralisme traditionnel en Algérie, O.P.U, Alger, 1982, p. 09.

2Debach Ch et autres, Mutation culturelle et coopération au Maghreb, les motivations de la personnalité algérienne en ce temps de décolonisation, C.N.R.S, Paris, 1969, p.10.

3 M’hamed Boukhobza, Op. Cit., p.16.

وحتى مجيء الفرنسيين سنة 1830 م. هذه الوضعية التي يصفها "محمد بوخبزة" بالثبات النسبي يرجعها إلى أربعة أسباب أساسية هي:[1]

أولا: طبيعة نظام ملكية الأراضي السائد آنذاك، حيث كانت الأرض ملكا جماعيا (أرض عرش) لا يحق للأفراد التصرف فيها واستثمارها بشكل أحادي في إنتاج فلاحي مكثف ومتنوع كان يمكن أن يغير من طبيعة سيرورة الإنتاج بالمنطقة ونمطه.

ثانيا: طبيعة السلطة في الجزائر ما قبل الاحتلال والتي كانت عبارة عن هيمنة قبيلة ما واتساع عصبيتها.

ثالثا: صعوبة نمط الإنتاج الرعوي السائد في تحقيق فائض إنتاجي مهم وقار يسمح بتحريك الجانب الاقتصادي الذي لا يمكن أن ينتعش إلا بوجود فائض منتظم وكذا انعدام نشاطات اقتصادية نوعية هامة أخرى تسمح بتوفير نوع من تقسيم العمل داخل المجتمع.

رابعا: الدور السلبي للنظام السياسي القائم آنذاك على تحصيل الجباية دون مقابل تنموي تجاه المجتمع كعدم توفير المدارس النظامية، حفر الآبار، توفير الصحة، ووضع ممثلين للإدارة المركزية للقيام بالشؤون العامة.

ففي الوقت الذي كانت فيه أوربا تعرف تحولات عميقة هزت النظام الإقطاعي بفضل الثورة البرجوازية التي جددت فيها بعض معالم العالم الأوربي الحديث كان المغرب العربي لا يزال يحافظ على بناه الاجتماعية والاقتصادية التقليدية[2]، لقد كانت الهوة التي وجدت ولفترة طويلة بين السلطة والمجتمع تمنع من تحقيق أي تفاعل ممكن بين الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي، يقول ماكس فيبر في هذا الصدد: "إن الاقتصادي هو الذي يتبع السياسي" [3] ،لكن و بالرغم من هذا الاختلال وعدم الانسجام الحاصلين بين

1 M'hammed Boukhobza, Monde Rural : Contraintes et mutations, O.P.U, Alger, Novembre 92, p.16.

2 Hassan Remaoun et Autres, L'Algérie, histoire, société et culture, Casbah, Alger, L'an 2000, p. 25.

3 http://books.google.comle 23 décembre 2021.

السلطة و المجتمع إلا أن الحياة المعيشية للأفراد كانت تعرف استقرارا نسبيا اعترف به الفرنسيون أنفسهم ، "فالجزائريون كانوا أحسن حالا عما آلو إليه بعد الاحتلال الفرنسي"[1]، و هذا يرجع أساسا إلى اعتمادهم على المعاش الذاتي وكذا التكافل و التعاون الكبيرين المعروفين داخل البني التقليدية للمجتمع الجزائري (القبيلة و الأسرة الممتدة)، فعلى سبيل القياس فقط نستطيع أن نلحظ ذلك الفرق بوضوح في الإحصائيات الفلاحية التي استعرضها شارل روبار أجرون في كتابه: تاريخ الجزائر المعاصرة، ففي سنة 1865م مثلا كانت الجزائر تعد 8 ملايين رأس ماشية ومليون رأس من البقر سنة 1865 م ، أي ما يقابل 3 رؤوس ماشية لكل فرد مع رأسين من البقر لكل 5 أفراد؛ هذه النسبة أخذت في التراجع حتى أصبحت سنة 1900 م، رأس غنم و نصف فقط لكل جزائري و رأس واحد من البقر لكل 5 أفراد، و نفس الشيء نجده فيما يخص الزراعة، ففي سنة 1860م، كان منتوج القمح يمثل نسبة 80 % من جملة المحاصيل الزراعية لكنه تراجع إلى نسبة 44 % سنة 1934م، و لنا على ضوء هذه المعطيات أن نتصور كيف كان حال الجزائريين قبل 1830 م و إلى ما آل إليه بعد 1934 م.

3. **سكان الجزائر:**

لقد تضاربت الآراء حول تعداد سكان الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي لكا تكاد تجمع أن نسبة5% فقط منهم سكنوا الحواضر وعاشوا بمعزل عن بقية السكان وهم على الغالب القادمون من الأندلس من عرب ويهود، شكلوا بورجوازية صغيرة في موانئ المدن و احتكروا التجارة والحرف حتى أنهم كانوا يحسبون أنفسهم من غير جنس باقي السكان؛ و يرى ابن خلدون أن هؤلاء الحضر إنما هم بدو في اصلهم وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الدعة و الترف بعدما تحققت لهم أسباب ذلك من رغد العيش و مطاب المقام "فالبدو

1 C.R Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine, P.U.F, Paris, 1983, p.p. 56-57.

أصل للمدن و الحضر و سابق عليها لأن أول مطالب الإنسان الضروري، و لا ينهي إلى الكمال و الترف إلا إذا كان الضروري حاصلا "[1]. "ثم إذا إتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش و حصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى و الرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، و تعاونوا في الزائد على الضرورة، و استكثروا من الأقوات و الملابس، و التأنق فيها و توسعة البيوت و اختطاط المدن و الأمصار للتحضر. ثم تزيد أحوال الرفه و الدعة فتجيء عوائد الترف البالغة بالغها في علاج القوت و استجادة المطابخ و انتقاء الملابس الفاخرة وأنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، و معالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها، والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غايتها، فيتخذون القصور و المنازل، ويجرون فيها المياه و يعالون في صرحها، و يبالغون في تنجيدها، و يختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون " [2]. "ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة، وتكون مكاسبهم أشهى وأرفه من أهل البدو" [3]. و هؤلاء "البلدية أو الحضرية " كانوا بدورهم ممقوتين من طرف قبائل الداخل سواء كانوا فلاحين أو بدو رحل [4]، فبالنسبة للفلاحين فإنهم كانوا يحتلون مساحات قليلة تكاد تنحصر في المناطق الجبلية الوعرة و يمارسون فلاحة جد محدودة، أما البدو الرحل فكانوا يمثلون أغلبية السكان بنسبة تصل إلى 65 %[5]، ينتشرون تقريبا في كل أنحاء البلاد وكانت لهم البسطة على جل أراضيها وهم في ذلك يمارسون الرعي و يعيشون حياة الحل و الترحال في بحث دائم و دائب

1 عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر،بيروت،2003،ص127.

2 عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت ،2003، ص. 127.

3 المرجع السابق، ص.125.

4 المرجع السابق، ص 125- 126.

5 C.R Ageron, Op. Cit., p. 05

عن الكلأ و الماء و لهم علاقاتهم الخاصة التي تنظم حياتهم الإجتماعية والسياسية وكذا الاقتصادية سواء فيما بينهم كقبائل متحالفة أحيانا أو متحاربة أحيانا أخرى و الشأن نفسه مع باقي السكان من حضر وفلاحين، هؤلاء الذين (أي الفلاحين) كان يضعهم ابن خلدون موضع الرحل في نعتهم بالبدو ،" فمنهم من يستعمل الفلاحة من الغراسة و الزراعة ، و منهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم و البقر و المعز و النحل و الدود لنتاجها و استخلاص فضلاتها، و هؤلاء القائمون على الفلح و الحيوان تدعوهم الضرورة و لا بد إلى البدو لأنه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والفدن و المسارح للحيوان و غير ذلك، فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرا ضروريا لهم، و كان حينئذ إجتماعهم و تعاونهم في حاجتهم و معاشهم وعمرانهم من القوت والكن و الدفاءة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة. وتحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك"[1]، وهم كذلك " المقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد و مقتصرون عما فوق ذلك من حاجي و كمالي يتخذون البيوت من الشعر و الوبر و الشجر أو من طين و الحجارة غير منجدة، إنما هو قصد الاستضلال والكن لا ما وراءه. وقد يأوون إلى الغيران والكهوف. وأما أقواتهم فيتناولون بها يسيرا بعلاج أو بغير علاج البتة إلا ما مسته النار. فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الظعن، وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال، وهم عامة البربر والأعاجم. ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الأغلب لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم، فالتقلب في الأرض أصلح بهم."[2] هؤلاء الذين كانوا على زمن ابن خلدون لا يعنى بهم البدو الرحل فحسب بل كانت تتسع دلالتها أيضا

1 M'hamed Boukhobza , L'agro– pastoralisme traditionnel en Algérie, Op. Cit., p.12

2 عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص.125.

لتشمل أولئك القائمين على فلاحة الأرض[1] وأما الرحل فقد خصهم بالقول : "" اعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجعة ، أهل الخيام لسكانهم ، و الخيل لركوبهم، و الأنعام لكسبهم، يقومون عليها، ويقتاتون من ألبانها و يتخذون الدفء و الأثاث من أوبارها و أشعارها، و يحملون أثقالهم على ظهورها، يتنازلون حللا متفرقة ، و يبتغون الرزق في غالب أحواله من القنص وتخطف الناس من السبل ، ويتقبلون دائما في المجالات فرارا من حرارة القيظ تارة و صبارة البرد أخرى ، و انتجاعا لمراعي غنمهم، وارتيادا لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم و حمل أثقالهم و دفئهم و منافعهم " و " هذه كلها شعائرها وسماتهم ، و أغلبها عليهم اتخاذ الإبل ، و القيام على نتاجها، وطلب الانتجاع لها لارتياد مراعيها و مفاحص توليدها، بما كان معاشهم منها" و يسترسل ابن خلدون في وصفهم أيضا بالمتوحشين الذين لاتربطهم بالحضارة صلة فيقول :هؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلد يجنحون إليه " و " العرب أبعد الناس عن الصنائع لأنهم أعرقهم في البدو، وأبعد عن العمران الحضري".[2]

3. التنظيمان الاجتماعي والاقتصادي (الأرض_القطيع) للبدو الرحل

وباعتبار أن هذه الحياة كانت تستوجب التنقل المستمر فإن التنظيم المكاني و الزماني لعاملي الإنتاج الاقتصادي (الأرض– القطيع) و طبيعة البنية الاجتماعية كانتا تعرفان تداخلا و تشعبا في غاية التعقيد.

1. التنظيم الاجتماعي:

عرف المجتمع الجزائري قبل الإحلال الفرنسي أنه مجتمع قبلي فلقد كان الناس يعيشون في قبائل متعددة لكل منها كيانها الاقتصادي، السياسي و الثقافي المستقل و يجتمع الناس في هذا الشكل من التنظيم الاجتماعي أولا للضرورة في الاجتماع البشري

1 المرجع السابق، ص.126.

2 صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي، ج 1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005،ص293

على التعاون في تحصيل العيش و هذا على إختلافهم في طلب و كل ميسر لما خلق له، يقول ابن خلدون في هذا الصدد: "إعلم أن إختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو إختلاف نحلتهم من المعاش فإن إجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله و الابتداء بما هو ضروري منه "[1]، ثم تأتي بعد ذلك الحاجة إلى دفاعهم الخطر بعضهم عن بعض و هذا بما جبل عليه الإنسان في طبعه للذود و نجده أهل رحمه و أقربائه من نعرة و عصبية فيكمل إبن خلدون في هذا السياق قائلا : " لا يصدق دفاعهم و ذيادهم إلا إذا كانوا عصبية و أهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم و يخشى جانبهم ، إذ نعرة كل أحد على نسبه و عصبيته اهم ، و ما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة و النعرة على ذوي أرحامهم و أقربائهم موجودة في الطبائع البشرية و بها يكون التعاضد و التناصر ، و تعظم رهبة العدو لهم "[2]، والناس في القبيلة كثيرا ما يعتقدون أنهم ينحدرون من نسب واحد قد يرجع في الغالب إلى أحد أجدادهم فيسمون باسمه (كأولاد سيدي نايل أو بني فوغال) و تعلو هذا الاسم بعد ذلك هالة من القداسة ويحيطه الشرف إلى حد أسطوري[3] فتجتمع عليه مناقب الحرب و مكارم البدو و يتعاظم شأن القبيلة و تزداد قوتها حتى ينتسب إليها آخرون بالذوبان فيها أو التحالف معها من غير قرابة دم [4]، فهي ليست وحدة منغلقة على نفسها كما أنها قد تكبر وقد تصغر وفقا للمقومات الاقتصادية و السياسية التي تحيط بها.[5]

1 عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص125

2عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص.125.

3 M'hamed Boukhobza, Op. Cit., p.69

4Ibid., p.68 .

5 Ibid., p.70.

عموما يمكن القول أن القبيلة تتكون من عشائر (clans) و كل عشيرة تتكون من اتحاد عدد من الأسر البدوية ، و قد تضم الأفخاذ و البطون التي تشترك جميعها في نسب أو عصابة واحدة، و بدرجة تمنهم من أن يرجعوا بأصولهم إلى جد واحد مشترك كما توجد بينهم منظومة من الحقوق والواجبات ،فضلا عن تشابك المصالح الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الدينية ...الخ؛ التي توحد بينهم و تجعلهم يسكنون متجاورين حتى تسهل عليهم من جهة أمور المدافعة ضد أي عدوان خارجي و تمكنهم من جهة أخرى من تنظيم مختلف نشاطاتهم وممارساتهم الاقتصادية والاجتماعية وفق تقاليد و أعراف مرعية، و من خلال رئاسة دنيوية و دينية تتسم بأنها أبوية و وراثية في معظم الأحوال[1] عرفت في الجزائر بالمشيخة نسبة الى شيخ القبيلة الذي كان يعمل و يسهر مع الأعيان على إدارة شؤون قومه داخليا و تمثيلهم في شتى المناسبات خارجيا، وقد أدرك الاستعمار دور هذا المنصب الحساس في الحفاظ على تماسك الكيان السوسيو-سياسي للقبيلة فقام المحتل باستبداله بنظام جديد يسمى نظام القياد جمع القايد وهو شخص لا ينتمي للقبيلة لكنه من الأهالي و يعطى صلاحيات واسعة لممارسة السلطة الكاملة عليها من إقرار للأمن ، تحصيل الضرائب و حل النزاعات، وكانت فرصة الحصول على هذا المنصب متاحة أكثر أمام الأغنياء الذين يبدون رغبة واضحة في موالاة الأسياد الجدد و بهذا الشكل تكون اهم الأسس التقليدية لإعادة إنتاج السلطة داخل القبيلة قد إنهارت.

1 صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص148

2. التنظيم الإقتصادي أو العوامل المادية للإنتاج الرعوي (الأرض- القطيع):

إذا كانت ممارسة الزراعة تعرف حدودا معروفة وواضحة المعالم في تقسيم الأرض فإن النشاط الرعوي لا يعرف نفس التنظيم والتقسيم؛ إن الأراضي الرعوية غير ثابتة وهي بالإضافة إلى تعلقها بعامل المناخ تتعلق أيضا بطبيعة مالكها فهي قد تزيد أو تنقص وفقا لسيطرة هذا المالك و نفوذه وكذا طبيعة علاقته مع الآخرين

(القبائل الأخرى أو السلطة)،[1] فالقبائل القوية كانت تفرض على القبائل الضعيفة حقوقا تدفعها مقابل مرورها أو إستغلالها لأراضي الرعي التي تسيطر عليها ويمكن أيضا أن تدفع مغارم مقابل حمايتها من أطراف أخرى وقد تطلب قبيلة ضعيفة حماية قبيلة قوية من هيمنة وسطو القبائل المخزنية وهذه الحماية قد تمتد لتشمل الحضر في مدنهم و كذا سكان أهل القصور لذلك كانت كثيرا ما تنشب النزاعات حول إعادة ترتيب الأمور للسيطرة على هذه الأراضي بين القبائل عموما والقبائل المخزنية من جهة أخرى فالقبيلة الضعيفة قد يعظم شأنها ويكثر نسلها فتستقوى و ترفض إعطاء ما عليها من مغارم و إتاوات فهذا الشيخ عمارة قائد قبيلة أهل كسال عندما قرر عدم دفع حقوق المرور لشيوخ لحرار وعلى غير العادة قصدهم على حصانه و لما نزل عندهم سلم وقال: " هذه المرة قررت أن أستشير حصاني هذا في الأمر "[2] فعلم القوم أن الرجل يتحداهم بما لمس من قوة في قومه وتعاظم شأنهم فتنازلوا له بذلك عما كان عليهم من حقوق حتى أنه أهل كسال بعد ذلك صاروا أسياد هذه المراعي بلا منازع . أما القطيع فيحدد نوعه و كمه ، طبيعة الترحال الذي تمارسه هذه القبائل و قد سبق لإبن خلدون أن صنف البدو الرحل حسب نوع القطيع الذي يملكونه فذكر الشاوية[3] أي القائمون على الشاء و البقر و هم لا يبعدون

1 Nadir Marouf, Terroirs et villages Algériens, O.P.U, Alger, Avril 1984, p.27.

2 M'hamed Boukhobza, Op. Cit., p.71.

3 عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص.126.

في القفر لفقدان المسارح الطيبة، أما الأبالة فهم رعاة الإبل و هم ال:" أكثر ظعنا و أبعد في القفر مجالا ، لأن مسارح التلول و نباتها و شجرها لا يستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالفقر وورود مياهه الملحة " [1] هذا التقسيم الذي أورده إبن خلدون نراه ناقصا و غاية في التعميم وهو يقتصر في تخصيصه لرعاة الشاة و البقر في منطقة المغرب على البربر، كما أنه أهمل ما يمكن أن يكون من تداخل بين القيام برعي الغنم و الإبل على السواء أو الفصل التام بين رعي الغنم و رعي البقر و هنا نجد محمد بوخبزة أكثر دقة ووضوحا في تحديد أنواع الترحال و ما يقوم عليه من نشاط في رعي معين إذ يرى أنها ترتبط بالدرجة الأولى بالمناخ(الرطوبة) كما أن مدى حركتها يخضع لنفس الشرط لذلك نجدها (أي هذه الحركية) ترتبط أيضا بتغيرات الرطوبة وخصائصها في كل فصل.

أ. **الترحال الرطب (Le nomadisme humide)**

يقتصر هذا النوع من الترحال على مناطق الشمال "التل خصوصا" حيث تصل نسبة تساقط الأمطار إلى 400 ملم، وهو يقوم أساسا على رعي البقر ثم الغنم بدرجة أقل، ولايضطر الرحل في هذه المناطق للتنقل إلى مسافات كبيرة لتوفر الكلأ والمراعي القريبة منهم (لا يتعدى تنقلهم بين 15 و30كم) فلذلك نجد مثلا بدو الشعانبة يتهكمون[2] من بدو أولاد يعقوب و لارباع، ويصفونهم بأنهم رعاة بقر لا يتركون الجبال؛ و يزداد الترحال الرطب كلما زادت الرطوبة بإتجاه الشمال وينقص كلما إتجهنا جنوبا حتى أن البقر يكاد ينعدم بالصحراء. وبالإضافة إلى تنقلات هؤلاء الرحل الجد محدودة فهم كذالك

1 نفس المرجع، نفس الصفحة.

2 Cauneille. A, Les chaânba (leur nomadisme), Evolution de la tribu durant l'administration française,Edition CNRS, Paris, p.97.

يشتغلون بالفلاحة على نطاق ضيق (زراعة القمح والشعير) وهذا على القدر الذي يغطي حاجياتهم وحسب.[1]

ب. **الترحال الجاف (Le nomadisme sec)**

يكون التنقل في هذا النوع من الترحال أكبر مسافة و هو يقوم أساسا على رعي قطعان الغنم ويكاد ينحصر عموما على الجهة الجافة من مناطق الهضاب العليا حيث تتوفر نبتتا الشيح و الحلفاء اللتان هما غذاء للغنم بامتياز ويشكل الرعي في مثل هذه المناطق النصف قاحلة إحدى الاستراتجيات المهمة التي يستعملها الرحل لتثمين إستغلال الأرض التي لا تصلح لممارسة الزراعة بشكل واسع بسبب قلة تساقط الأمطار حيث لا تفوق نسبته 200 ملم سنويا وسنرى من خلال هذه الدراسة أن الترحال الجاف يحاول أن يحافظ اليوم على حركيته المعهودة والتقليدية من وإلى الشمال.

ت. **الترحال القاحـل(Le nomadisme aride) :**

الترحال القاحل أبعد مسافة من سابقيه و هو يقوم أساسا على رعي الإبل القادرة على التوغل في الصحراء و إحتمال قساوة مناخها " فالإبل أصعب الحيوان فصالا و مخاضا و أحوجها في ذلك إلى الدفاءة فاضطروا (الأبالة) إلى إبعاد النجعة "[2]، وقد تهيم الإبل أياما عديدة في الصحراء من غير راع ثم تعود إلى مضاربها عند بئر قد ألفت وروده و يطلق عليها في هذه الحالة الإبل الهميلة " الهاملة "و هذه الطريقة كثيرا ما يستعملها الرحل لرعي الإبل عندما يأنسون إبتعاد مخاطر السطو عنها فيتركونها "تهمل" لترجع بحسها و فطرتها الى حيث اعتادت شرب الماء ، و تنتشر الابل في الجزائر أيضا بنفس منطق نقاوة الرطوبة إذ نجدها تنقص كلما إتجهنا شمالا هذا التقسيم لا يعني بالضرورة الفصل الحيوي بين هذه الأنواع من الترحال بل كانت تتداخل أيضا في حركيتها

1 M'hamed Boukhobza, Op. Cit., p.35

2 عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص126

كونها كانت عملية منظمة بين المناطق المختلفة للوطن (تل – هضاب ، تل– صحراء –هضاب – صحراء و العكس)[1] و كلمة منظمة لا تعني الإنتظام المطلق الذي لا يعتريه عارض بل كان لعاملي المناخ و العلاقات السائدة بين البدو الرحل آنذاك دورها في تحديد هذه العملية أيضا[2].

4.حركة البدو الرحل في الجزائر:

على العموم عرف الترحال في الجزائر حركتين كبيرتين هما:

أ. **العشـابة :**

يتجه الرحل صيفا من الجنوب إلى الشمال هربا من حر الصحراء و قساوتها طالبين العشب لقطعانهم، و قد يتوقفون بمناطق الهضاب إذا توفر لهم فيها الكلأ والماء أما في حالة ندرتها فيتوغلون أكثر إلى التل حيث المراعي المبسوطة والجو الملائم لأغنامهم؛ يستطرد جول كانبن قائلا في هذا الصدد : " إن الأغنام في الجزائر تعيش على ما تجده في الحقول و هي ترتاد الكلأ في مواضعه، تمضي الشتاء في الجنوب وفي أوقات الحر الشديد تقترب من التل أو تدخل إليه ، مشيها ليس ثابتا، فهو مرتبط بالكلأ المتوفر في المناطق التي قد تكون بعيدة جدا ، و الانتجاع بالرغم أن له بعض الأضرار إلا أنه يجنبها الأمطار و الأوحال و رطوبة التل في الشتاء كما يجنبها الحرارة المرتفعة في الصحراء أثناء الصيف وهذه الهجرة المستمرة هي رياضة تحافظ على صحة المواشي و تعطيها القدرة على مقاومة التأثيرات المناخية المضطربة " [3]، ويستغلون في نفس الوقت تواجدهم بالتل للقيام بنشاطات أخرى كالتجارة و العمل في الحقول فيستبدلون متوجاتهم

1 M'hamed Boukhobza , Op. Cit., p.43.

2 Ibid., p.42

3 Jules Cambon, Le pays du mouton, Des conditions d'existence des troupeaux sur les hauts-plateaux et dans le Sud de l'Algérie, Giralt, Alger, 1893, p.07.

كالصوف ، التمر و حتى الملح مقابل القمح و الشعير (مكيال تمر مقابل ثلاثة من القمح و ستة من الشعير) كما يشاركون في عمليتي الحصاد و جمع المحاصيل.

ب. **العزابـة :**

مع إقتراب الشتاء في (بدايات سبتمبر) يستجمع الرحل أنفاسهم من جديد في حركة كبرى أخرى تسمى العزيب أو الحدرة باتجاه الجنوب و الغاية من النزول إلى الجنوب أساسا ليست على القدر الذي يعرفه الصعود إلى الشمال في البحث عن الكلأ لأن الجنوب عموما يعرف بندرة الأمطار و إنما الغاية الأساسية هي تجنيب القطيع التأثيرات المناخية و الأمراض المعدية كالجدري والرية* "فأولاد نايل مثلا يعودون الى الصحراء حوالي 15 أكتوبر دافعين بقطعانهم الى ما وراء سهول " لبعايج" الممطرة، مبتعدين عن قساوة الطبيعة هناك و التي تؤدي في حالة عدم تجنب الجو البارد بها في أغلب الأحيان إلى هلاك القطيع" [1]، فالعزيب إذن هي تقنية رعوية ترمي إلى حماية القطيع من جهة ومن جهة أخرى تسمح للرحل بممارسات أخرى كإعادة إستبدال ما حملون من الشمال من سلع : "قمح ، شعير ، المشمش المجفف ، الشاي ، القهوة ، سكر ، قماش ....إلخ مقابل سلع الصحراء ، التمر ، والملح، كمقايضة تصل فوائدها إلى 50 %، فهم مثلا يعيدون استبدال القمح ،مكيالين بمكيال من التمر"[2]، وكانت الوسيلة في نقلهم لهذه البضائع طبعا هي الشاحنة لذلك كانت كثيرا ما ترى مع الرحل في الشمال تحمل أمتعتهم و سلعهم لا تفارق الخيام وقطعان الغنم، كما تصادف أيضا حركة العزيب موسم جني التمور في الواحات فيشاركون فيها.

5. **الاحتلال الفرنسي واستهدافه للبدو الرحل:**

1 Cauneille. A, Op. Cit., p.97.

2 M'hamed Boukhobza , Op. Cit., p.49

لم يكتف الفرنسيون لإحكام سيطرتهم على هذه الأرض بتوظيف آلتهم العسكرية الضخمة فحسب بل استعملوا في ذلك أيضا خبراتهم المعرفية وأساليب ممنهجة [1]مكنتهم من إحداث تصدعات وتغيرات جذرية في المجتمع المسيطر عليه، لقد كان الاحتلال الفرنسي للجزائر تصادما بين حضارتين و لقاءا بين مجتمعين مختلفين كل الاختلاف و هذا في في كل أوجه الحياة[2] لذلك كانت إعادة ترتيب الأمور من طرف المحتل وفقا للوضع الجديد تتطلب إدراكا واسعا لأهم هذه الفروقات الشكلية منها والضمنية والعمل فورا على تطويع كل المعطيات الميدانية لتجسيد هذه الهيمنة على أرض الواقع، وبما أن البدو الرحل كانوا يشكلون تباينا واضحا مع نمط الحياة الغربية ووجها بارزا من أوجه الحضارة العربية فقد كانوا محور هذا الاهتمام و مصب تفكير عميق لاستغلال ثغراتهم والإستفادة بشكل أدق من عدم إستقرارهم و حركيتهم الدائمة و بالفعل فقد إفترض المحتلون الأوائل أن هذه الأراضي شاغرة و لا مالك لها، بما أن البدو الرحل يغادرونها مع حلول الشتاء، يقول كسافيي ياكونو ناقلا لنا شهادته كفرنسي أقام أياما بمنطقة الأصنام سنة 1850:" هؤلاء العرب الذين ينتشرون بخيمهم على مرتفعات السهول المحاذية للنهر (يقصد نهر الشلف) يسوقون إليها قطعانهم طوال ساعات النهار و بصراخهم وراء أغنامهم و بعجيج ماشيتهم و كذا نباح كلابهم يرسمون مشهدا في غاية التباين مع ذلك السكون الذي نجده من غير هذا الفصل (فصل الربيع)"[3] وهذا أيضا الرحالة الألماني هاينريش فون مالستان الذي مر بالجزائر سنة 1848 يقول في كتابه – ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا– عن سهول متيجة: "ولمتيجة فتنتها الخاصة وهي في الواقع جرداء نسبيا خالية من الأشجار تقريبا لا تنبت فيها سوى الأدغال القصيرة و لا تحتوي إلا على قطع

1 Ibid., p.16

2Pierre Bourdieu , Sociologie de l'Algérie, P.U.F, Paris, 1re édition. 1958, 3ème édition.1970, p.106.

3 M'hamed Boukhobza , Op. Cit., p.16.

متناثرة، حولت إلى حقول للحنطة "[1] و كان ديمونتاز أحد المتحمسين للاستعمار آنذاك أكثر راديكالية عندما قال: "إن سهول الجزائر كانت مهجورة تماما"[2].

ففكرة الفراغ هذه إذن أستغلت أيما استغلال كسلاح فتاك أستعمل لنزع الأراضي من القبائل التلية خاصة لتحويلها إلى أراضي زراعية؛ أما فيما يخص البدو الرحل كأفراد و جماعات فقد حوصروا في كل مكان و ذهب الأمر بالفرنسيين إلى حد تصفيتهم جسديا إذا تطلب الأمر ذلك وطبعا لم تكن الحجج لتنقصهم فقد وجدوا في أطروحات ابن خلدون فيما ذكره بأن" العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب " في مقدمته ما يغنيهم لتبرير جرائمهم أخلاقيا و قانونيا للتخلص من هؤلاء البدو نهائيا[3] فهم كما قال عنهم في هذا الباب: " أمة وحشية بإستحكام عوائد التوحش و أسبابه فيهم فصار لهم خلقا و جبلة ، و كان عندهم ملذوذا لما فيه من خروج عن ربقة الحكم ، و عدم الإنقياد للسياسة و هذه الطبيعة منافية للعمران و مناقضة له، فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له. فالحجر مثلا إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافي القدر، فينقلونه من المباني ويخربونها عليه، ويعدونه لذلك، والخشب أيضا إنما حاجتهم إليه ليعمدوا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك.

فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران"[4]، كما أنهم وجدوا أيضا في أفكاره و أحكامه إسترجاعا لمجد أجدادهم الرومان الذين عمروا هذه الأرض طيلة قرون بالبنيان والقصور و الطرقات فأتى عليها العرب بالخراب و الاندثار فيقول:

1 هـ.ايندريش فون مالتسان،ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، الجزء الأول، ترجمة الدكتور أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص132

2 M'hamed Boukhobza , Op. Cit., p.16

3 المرجع السابق، ص152

4 M'hamed Boukhobza , Op. Cit., p16.

"أنظر إلى ما ملكوه و تغلبوا عليه(أي العرب) من الأوطان من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه ، و أقفر ساكنه ، و بدلت الأرض فيه غيرالأرض : فاليمن قرارهم خراب إلا قليلا من الإمطار ، و عراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع ، و الشام لهذا العهد كذلك و إفريقية و المغرب لما جاز إليها بنو هلال و بنو سليم منذ أول المائة الخامسة و تمرسوا بها لثلاثمائة و خمسين من السنين قد لحق بها و عادت بسائطه خرابا كلها، بعدما كان من السودان و البحر الرومي كله عمرانا ، تشهد بذلك أثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء و شواهد القرى و المدن" [1]كل هذه الأوصاف العامة في أحكامها استغلت أبشع استغلال كي يأخذ المحتل مكان الأسياد القدماء و تنتزع منهم أهم أراضيهم التلية و أجودها على الإطلاق [2]،الأمر الذي أدى و بشكل مباشر إلى إندثار النوع الأول من حياة البداوة و الترحال الرطب و كذا إنحصار النوعين الآخرين (الترحال الجاف، والترحال القاحل) داخل البلاد، في الهضاب العليا و الصحراء و بالتالي يكون هذا النمط من الحياة قد فقد أهم حلقة في سلسلة المنطق الذي كان قائما عليه في الجزائر ما قبل الإستعمار.

أ. زوال الترحال الرطب:

بعدما أجبر الرحل في الشمال على التوطن في التلال وسفوح الجبال التي لم يجد لها المستعمرون جدوى وقيمة فلاحيه[3] وهذا باستعمال أكثر الطرق راديكالية بأن حوصر الأهالي في تجمعات تسمى زمالة (قرية من الخيام) أحكم التضييق عليها ومحاصرتها عسكريا .... " كي نستطيع أن ننزع من هؤلاء المزعجين كل الدعائم يجب علينا أن نجمع أفراد هذا الشعب المتشتتين وأن ننظم القبائل في زمالات (جمع زمالة)، إننا نعتقد

1 Ibid., p.17,p19

2 عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص151

3 مرجع السابق، ص152

أن فكرة حبس هؤلاء العرب على هذا الشكل ستحمل لهذا البلد الأمان؛ علينا أن نجمع هذا الشعب الذي نجده في كل مكان ولا نجده في نفس الوقت، المهم أن نجعل منه قابلا للسيطرة " [1].

هكذا أردف النقيب شارل ريشارد قائلا سنة 1846م؛ وبالفعل فبعد نصف قرن من ذاك، زالت تماما الخيم من مشهد التلال والسهول وغاب منظرها الجميل لتترك مكانها للمشاتي، للقرابة (جمع قربي) والأكواخ وقد ساهم في ذلك أيضا وبشكل فعال تطبيق ترسانة من القوانين العقارية المعروفة بـ: (Senatus Consult) لسنة 1863 والمتممة بقوانين Warnier1873 وقوانين 1887، 1897 والتي أدى تطبيقها إلى الإسراع في تفجيرالاقتصاد التقليدي الذي كان يقوم عليه الإنتاج الرعوي في الجزائر وكذا البنى الإجتماعية التي كانت مقوماتها تعتمد عليه.

ب. زوال العشابة و الترحال الجاف:

بزوال الترحال الرطب بشكل مفاجئ و عنيف سنة 1900م[2] أصبحت حركة العشابة نحو الشمال غير ممكنة تدريجيا حتى تم إلغاؤها تماما من طرف المستعمر سنة 1920م على إثر مجاعة حلت بالبلاد[3] و بالتالي كان على الترحال الجاف أن يتعرض بدوره و بشكل بطيء نسبيا عن سابقه إلى عوامل انحلاله و زواله، لقد حوصر هذا النوع من الترحال بدوره مدفوعا إلى المناطق الأكثر فقرا من الهضاب العليا، فكان على الرحل أن يواجهوا هذه الصعوبات الجديدة و أن يحاولوا تخطي ندرة المياه و الكلأ في تلك المناطق الشحيحة من جهة و تأمين الجو المناسب لقطعانهم والطعام لعوائلهم من جهة أخرى فأضطرهم ذلك إلى تحويل حركتهم نحو الجنوب حيث لا يمكن لأغنامهم أن تطيل البقاء

1 M'hamed Boukhobza , Op. Cit., p.97 .

2 Ibid, p.111

3 Ibid, p.113

بعد النصف الثاني من أفريل و هذا بسبب إرتفاع درجة الحرارة وقلة المياه هناك، وهذه المدة من الوقت لا تسمح بإعادة بناء الغطاء النباتي على غرار ما كان ممكنا أثناء حصول حركة العشابة إلى التل، فأدت جملة هذه المستجدات إلى الاستغلال الفاحش لمراعي الهضاب كما أن الحاجة أيضا إلى الطعام أجبرت الرحل على ممارسة الزراعة مما جعل قرابة المليون من الأراضي الرعوية [1] تخضع لعمليات حرث مكثفة من أجل توفير القمح و الشعير اللذان كانا مصدرهما فيما مضى الشمال و مع انتهاء كذلك الدور التقليدي للبدو الرحل كوسطاء تجاريين بين التل و أهل القصور بدأت سلسلة التخلي عن الحياة القديمة و عن قطعان الماشية الموفورة إما بحثا عن عمل مأجور عند المستعمرين كخماسة أو الإكتفاء بعدد قليل من رؤوس الغنم و القبول بالحياة المزرية الجديدة التي فرضها عليهم الوضع الجديد وهذا أحد البدو يتأسف عن الأيام الخوالي، فيقول" لقد أصبحت خيمنا الواسعة أكواخا يائسة و أصبحت قطعاننا التي تملأ الأفق قليلا من الرؤوس،فأين تذهب أيها الراحل و لماذا تبقى إذا لم ترتحل ؟ "[2]، هكذا صارت إذن حياة الرحل حياة يأس و فقدان للأمل و أصبح المستقبل أمامهم ليس إلا مجرد قفز نحو المجهول نحو عالم غامض تسوده قيم تختلف جذريا عن القيم التي عهدها وعلاقات جديدة أيضا فرضها الواقع عليه جعلت حياته تنقلب رأسا على عقب فتعميم التعاملات النقدية و تفكيك وحدة الأراضي و انتشار العمل المأجور وفقا لمفاهيم الرأسمالية المهيمنة مما جعل من النزعة الفردانية داخل المجتمع الجزائري تزيد شيئا فشيئا الأمر الذي أدى فيما بعد إلى تحولات عميقة في البنى الاجتماعية و الاقتصادية التقليدية انتهت بتفجير البنية القبلية و تفكيك وحدة الأسرة الممتدة، هذه التحولات أدت بدورها إلى ظهور نوع

1 http://horizon.documentation.ird.fr

2 M'hamed Boukhobza , Op. Cit, p.p21-22

جديد من الترحال يعتمد على إستراتيجيات تخالف تماما تلك التي كانت تحرك مفاهيم وأسس الإنتاج الرعوي التقليدي عند البدو الرحل ويمكن أن نلخصها في النقاط التالية[1]:

- ظهور الملكية الفردية عوض الملكية العائلية التي لا تقبل التقسيم والتجزئة.
- بروز العلاقات الإجتماعية المبنية على إقتصاد السوق بدل العلاقات الإجتماعية المبنية على القرابة، الموالاة أو التبعية.
- تغير العلاقات التي تربط الرحل مع السوق من موسمية إلى علاقات متكررة ومألوفة.
- تغير منطق العلاقات الخارجية مع المحيط والتي كان يتحكم فيها شيخ القبيلة وأعيانها إلى منطق فرداني يتوقف على المرتحل في حد ذاته.

6. البدو الرحل بعد الاستقلال:

لقد أدى الوضع العام الذي أوجده الاستعمار الفرنسي طيلة قرن و إثنان و ثلاثون سنة إلى تفقير شامل للبدو الرحل في الجزائر الشيء الذي إنتهى إلى تردي كامل في معيشتهم و إنقلاب أحوالهم رأسا على عقب نتاج توطينهم المستمر والبطيء و كذا إجبارية تخليهم عن حياتهم التقليدية شيئا فشيئا إلى تراجع نسبة ما تبقى منهم غداة الاستقلال إلى 4 % فقط من السكان أي حوالي600,000 نسمة [2] من البدو الرحل كان أغلبهم يتمركزون بوسط البلاد (الهضاب العليا السهبية) حيث كانت لا تزال ثلثي الثروة الحيوانية من الماشية تتمركز بتلك المناطق لكها منحصرة في يد قلة قليلة من الرحل المتوطنين الذين ساعفهم الحظ في ظل الظروف القاسية سالفة الذكر على الاحتفاظ بقطعانهم و تنميتها بما استطاعوا أن يظفروا بهـ من أراضي و استعمالها للتوليف و التركيب بين الزراعة والرعي. و أما البقية الباقية من الرحل الذين وجدوا حريتهم من جديد

1 Ibid, p.236

2 http://horizon.documentation.ird.fr

فلم يكن أمامهم سوى العمل على إعادة بناء قطعانهم و مزاولة حياتهم أو ما تبقى منها على الأقل في ظروف الدولة الجديدة الناشئة و التي ورثت بدورها حملا ثقيلا بقايا مجتمع مهلهل يقول محمد بوخبزة في هذا الصدد: "كان من المهم جدا أن تعرف الدولة الجزائرية الناشئة بعد الإستقلال مباشرة أي مجتمع ستواجه ، مجتمع منظم، مبني، واع بمصالحه الكبرى أو بالعكس ستجد نفسها أمام غبار من الأفراد أو مجموعات من العائلات سيصعب تحديد أي سياسة تنتهجها تجاههم كي تأخذ على عاتقها مختلف التحديات في التعامل معهم و الحرص على مصالحهم ، و أيضا تسيير مختلف التناقضات التي تسودهم" .

لكن أول اهتمام بالمجتمع الرحل من طرف الدولة الجزائرية كان بشكل عرضي عندما حاولت هذه الأخيرة تطبيق الثورة الزراعية إبتداءا من سنة 1972م[1] حيث كانت إشكالية إدارة مجتمع غير ثابت ينتقل باستمرار تطرح نفسها بقوة وكانت البدائل المطروحة طبعا تتمثل أساسا في فكرة توطين هؤلاء البدو بطرق مباشرة وأخرى غير مباشرة [2]:

_الإستمرار في تطبيق السياسة الإستعمارية القديمة التي تهمش كل خصائص و مميزات المجتمع البدوي القبلي و الاعتماد على تقسيمات إدارية (البلدية) تضم مجموعة من القبائل أو أجزاء مختلفة من قبيلة واحدة (بطون) يكون التمثيل الوحيد لهم عن طريق الانتخاب الديمقراطي؛ فالبلدية تعوض القبيلة و رئيس البلدية يعوض القايد أو شيخ القبيلة و المجلس الشعبي البلدي يعوض "الجماعة" وكانت هذه الترتيبات ترمي أساسا إلى إذابة هذا المجتمع داخل الإطار العام لما يسمى المجتمع الوطني، فالبلدية لا تمثل بشكل مباشر القبيلة إذا كان أحد أفرادها منتخبا كرئيس لها أو عضو فيها.

1 Ibid., p.15

2 Ibid., p.10.p14

وهذا ما يجعل القبيلة تخضع بشكل أفقي إلى إرهاصات ورغبات هؤلاء الممثلين الذين يسعون للفوز بإمتيازات سياسية إنتخابية الشيء الذي عزز أسباب الفرقة والتشتت.

_إعادة تنظيم النشاط الرعوي ضمن ما يسمى الإصلاح الفلاحي (الثورة الزراعية) و هذا بإعادة تقسيم أراضي السهوب الرعوية و منحها لتعاونيات تضم مجموعة من الرحل يدمجون للعمل المأجور كأفراد و ليس كعائلات أو مجموعات قبلية و الهدف من ذلك هو إذابة تلك العلاقات لصالح مفاهيم جديدة تتماشى و التوجيهات الكبرى لمشروع الدولة و هو إيجاد علاقة جديدة بين الفرد والمؤسسات؛ لكن هذه التجربة عرفت فشلا ذريعا نتيجة لما لاقته من نفور من طرف هذه الجماعات و أيضا إيجاد صعوبات جمة من طرف الدولة في تحرير هذه الأراضي التي يستغلها الرحل بشكل تقليدي و التي لطالما اعتبروها مجالا طبيعيا لنشاطهم الرعوي تحمل صفة أراضي عرش؛ هذه الصفة التي نزعت في إطار هذا البرنامج لتتحول إلى صفة أخرى و هي الملك العام؛ هذا الفعل أدى فيما بعد إلى فوضى عارمة في إستغلال هذه الأراضي و هيمنة الموالين من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة على أغلبيتها ،أما باقي الرحل فأصبح رعيهم و إستغلالهم لها مجرد شيء متغاضي عنه قانونيا لا أكثر و يستطرد محمد بوخبزة في هذا السياق مؤكدا[1]:

"إن إعادة توزيع الإرث العقاري المشترك لأغراض الزراعة ولفائدة طبقة أو طائفة مهيمنة من مربي المواشي وبشكل إنتقائي عزز الفروقات الإقتصادية داخل هذا المجتمع وكان الأغنياء منهم يزدادون غنا يوما بعد يوم أما الفقراء فكانوا يحرمون شيئا فشيئا من استغلال تلك المراعي الغنية المشتركة".

"لقد أدى التدخل المستمر من طرف السياسيين وصناع القرار وكذا مسيري الموارد المحلية بما يحملونه من أفكار مسبقة وخاطئة عن أنماط العيش التقليدية إلى تطبيق سياسات

1 M'hamed Boukhobza , Op. Cit., p.224.

تنموية كانت فاشلة في مجملها الأمر الذي ترتب عنه ظهور سلسلة من النماذج والبدائل المقاومة جعلت تصور أي حلوللها يبدو أمرا مستحيلا ".

_التخطيط لوضع حركة معاكسة لحركة العشابة التقليدية تسمى بالعشابة المعكوسة والتي ترمي إلى تزويد مناطق الهضاب العليا بالأعلاف والشعير في مواجهة العجز الذي تعرفه المراعي في فصل الصيف أمام قطعان الماشية المتزايدة لكن هذه التجربة أيضا أفرزت أعراض جانبية خطيرة كان أهمها تعرض أراضي السهوب للتصحر جراء ممارسة الرعي المكثف بها وعدم تركها الوقت الكافي كي تستريح وتتمكن من تجديد غطائها النباتي.

ولا يفوتنا هنا أن نسجل من خلال ما التمسناه من مختلف المقابلات التي أجريناها مع المبحوثين من كبار السن الذين عايشوا تلك المرحلة أن حركة العشابة التقليدية نحو التل قد عادت بقوة بعد زوال الإستعمار مباشرة و مع تطبيق الثورة الزراعية و تأميم الأراضي خلال السبعينيات من القرن الماضي فان هذه الحركة تكون قد عرفت زمنا ذهبيا جديدا يذكر بذلك العهد التي كانت عليه قبل الاحتلال الفرنسي ، فالمراعي المتاحة بعد عملية الحصاد في الشمال كانت تستغل من طرف الرحل دون عناء أو إشكال يذكر باعتبار أن تلك الأراضي ملك عام (ملك الدولة) فلم يكن هناك من يستطيع منعهم من رعيها "انه زمن الاشتراكية" .

تشجيع البدو الرحل على تعليم أبنائهم وتوفير الإمكانيات الواسعة من أجل ذلك كتوفير السكن والإطعام المجاني داخل المؤسسات التعليمية وكان يهدف هذا الإدماج إلى حرمان البدو الرحل من عامل تجديد القوة العاملة الرعوية التي تتمثل في الأبناء والتي كانت تضمن إستمرارية حياة الترحال لكن لم تكن هناك إجراءات صارمة لتسجيل كل الأطفال للتمدرس في المؤسسات التعليمية القريبة.

بالإضافة إلى هذه العوامل كان إنتشار العمل المأجور لا يزال كذلك ينخر جسد الترحال التقليدي لصالح حياة الإستقرار و التوطين ، فالراحل كان دائما يأمل في حياة أفضل و في غد مشرق يرى فيه أبناءه المتعلمين يحتلون أرقى المناصب في هذا

المجتمع على غرار آخرين أمثالهم من أبناء الرحل صاروا مهندسين و أطباء الشيء الذي ساعد عائلاتهم على التخلص من الترحال الشاق و وجدوا لأنفسهم داخل المدن أفضل الاستقرار و أحسنه أو على الأقل يكون الراحل أيضا قد فاز بعمل (عند الدولة) يمكنه عند بلوغه الكبر من التقاعد و الركون إلى الراحة بما يوفره من أجر التقاعد و لو كان زهيدا ضمانا لكفاف العيش و التأمين الاجتماعي.

الفصل الثالث

الرحل وشبه رحل

إن محاولة الفصل بين الرحل و شبه الرحل أمر جد معقد أيضا سواء كان ذلك في الماضي أوالحاضر فحالة الترحال الدائم لا توجد في حقيقة الأمر بشكل مطلق، فالرحل كثيرا ما يضطرون للتموقع و السكون لوقت قد يطول في بعض الأحيان في مكان معين (حول بئر أو واحة) خاصة خلال السنوات التي يعتريها الجفاف، وإذا كنا نعرف شبه الراحل بأنه هو من يقيم عدة شهور من السنة بالقرب من بستانه، فهل يكون كذلك من يقيم الصيف و الخريف في الواحة و لا يملك أي بستان ؟ هل الراحل الحقيقي هو الذي لا يأتي إطلاقا إلى الواحة؟[1] كيف يمكن أن نصنف اليوم الماكثين في التل لفترة الربيع والصيف من أولاد رحمة و السوامع وأولاد عيسى هل هم رحل أم شبه رحل؟

1. المقاييس الكلاسيكية:

يرى البعض أن التفريق بين هذين النمطين من الترحال إنما يكون على أساس الدوام و الاستمرار في التنقل طوال أيام السنة مع ممارسة الرعي فقط بالنسبة للرحل و التنقل المؤقت خلال فترة محددة بالنسبة لشبه الرحل مع اعتمادهم على الزراعة إلى جانب الرعي في نشاطهم الاقتصادي[2]، بمعنى المكوث و الاستقرار لمدة معينة عادة ما تكون الصيف و الخريف في الواحة أين يملكون النخيل و البساتين[3] و يرى آخرون أن التفريق بين الحالتين إنما يكون اعتمادا على قياس مدى التنقل و الحركة فإذا كان هذا الترحال على مسافات محدودة كان من النمط الثاني أو نصف رحل[4]، لكن اليوم و مع الاستعمال الواسع للشاحنة لم يعد هذا التنقل يمثل في حد ذاته قياسا لذلك و حتى من يمارس الرعي دون غيره من النشاطات أصبح يمتلك منزلا في المدينة (بالجنوب) يقيم فيه خلال مدة من السنة أو على الأقل يقيم فيه جزء من عائلته بينما يقوم الجزء الآخر

1 Cauneille.A, Les chaânba (leur nomadisme), Edition CNRS, Paris, p.139.

2 د.صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي، ج1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2005، ص373.

3 Cauneille.A, Les chaânba (leur nomadisme), Op. Cit., p.143.

4 M'hamed Boukhobza, L'agro- pastoralisme traditionnel en Algérie, O.P.U, Alger, 1982, pp.16-38.

بمرافقة القطيع غير بعيد عن ضواحي الإقامة وهذه الفترة عادة ما تكون في الخريف و الشتاء و يكون أهم أسباب هذا الإستقرار الجزئي تمدرس بعض الأبناء.

إذن وكما رأينا فالمقاييس التي نعتمدها لوضع تصنيف معين بين هؤلاء وهؤلاء يمكن أن تتغير شكلا ومضمونا مع تعقد الحياة ووجود مستجدات في عالم الترحال بصفة عامة، لذلك في هذه الدراسة اقترحنا مجموعة مقاييس أخرى أكثر موضوعية لتفريق بيم هذين النمطيين من المعيشة.

2. المقاييس الموضوعية:

أ. الخيمة (البيت):

لم يكن في الماضي التفريق بين الرحل وشبه الرحل على أساس الخيمة أو البيت[1] أمرا واردا لأنها كانت تمثل مسكنا رئيسيا لكلا الجماعتين و أكثر من ذلك فهي رأسمال إجتماعي وعلامة للانتساب و مدعاة للفخر والإعتزاز، يقول الأمير عبد القادر في هذا الشأن:

الحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشعر وبيت من الشعر[2]

ويضيف:

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر وعاذلا لمحب البدو والقفر

لا تذمن بيوتا خف محملها وتمدحن بيوت الطين والحجر

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر[3]

لكننا اليوم نستطيع أن نلاحظ مدى تباين هذه الخيم من ناحية حجمها (صغيرة أو كبيرة) أو من ناحية حالاتها المختلفة (إن كانت جيدة أو متردية و مرقعة بالبلاستيك ام لا) كما لاحظنا أن البعض تخلى عنها بشكل نهائي و عوضها بالقيطون، هذا التباين

1يطلق البدو الرحل الوافدين على منطقة لازرو اسم البيت أو البيوت على الخيمة بينما يسمىها الرحل في غرب البلاد (تيارت، البيض) بالخيمة.

2 برونو إتيين، عبد القادر الجزائري، ترجمة المهندس ميشيل خوري، الديوان الوطني للنشر والطباعة،الجزائر، ط2 2001، ص07.

3 المرجع السابق، ص.72.

سمح لنا بتصنيف أولئك الذين لا يزالون يحافظون على الخيمة حفاظا تاما بالرحل الحقيقيين (أي أولائك الذين لا يزالون يعيشون حياة الترحال الكامل) لأن الخيمة عندهم لا تزال تمثل مسكنهم الرئيسي طيلة السنة فهي لا تطوى إلا خلال مدة تنقلهم و هم يقومون على تجديدها دوريا حيث تحرص المرأة خاصة على نسيج الفليج[1]عن طريق السداية[2] لتستبدل غيرها كل سنة أو لتقوم بتوسيعها و هو عمل تقليدي تقوم به كبيرات السن من المرتحلات فيستعملن في ذلك الصوف وشعر الماعز و هما مادتان يوفرهما القطيع عادة فلا يكلف تجديد الخيمة إلا جهد تلك النسوة، أما بالنسبة لساكني القيطون[3] و الخيم المتردية فقد عزفت نسوتهن عن هذا العمل التقليدي بسبب ما صار لديهن من سكن قار فلا يتخذن هذه الخيم إلا كسكن استثنائي يمضين فيه فترة تواجدهن في التل مع أزواجهن و بذلك يهمل الاعتناء بالخيمة شيئا فشيئا حتى تتهالك أو تستبدل بالقيطون مرة واحدة وهؤلاء هم على الأرجح شبه رحل لهم عند عودتهم إلى الصحراء نشاطات أخرى غير الرعي.

1 الفليج أو الفليجة عبارة عن شريط عرضي متفاوت المقاييس والألوان (حسب كل قبيلة وكل بطن) وهو الأساس الذي تتكون منه الخيمة و الجزء الذي يتم تجديده في حالة إهترائها.

2 السداية آلة تقليدية تستعمل لحياكة الخيمة أو الزرابي أو غيرهما من حوائج الملبس والغطاء.

3 القيطون هو خيمة إصطناعية، وقيطن يعني أنه أخذ أكثر فأكثر على المكوث وقلل من الحركة لذلك عادة ما يكون القيطون علامة لبداية الإستقرار والتخلي عن حياة الترحال بشكله القديم.

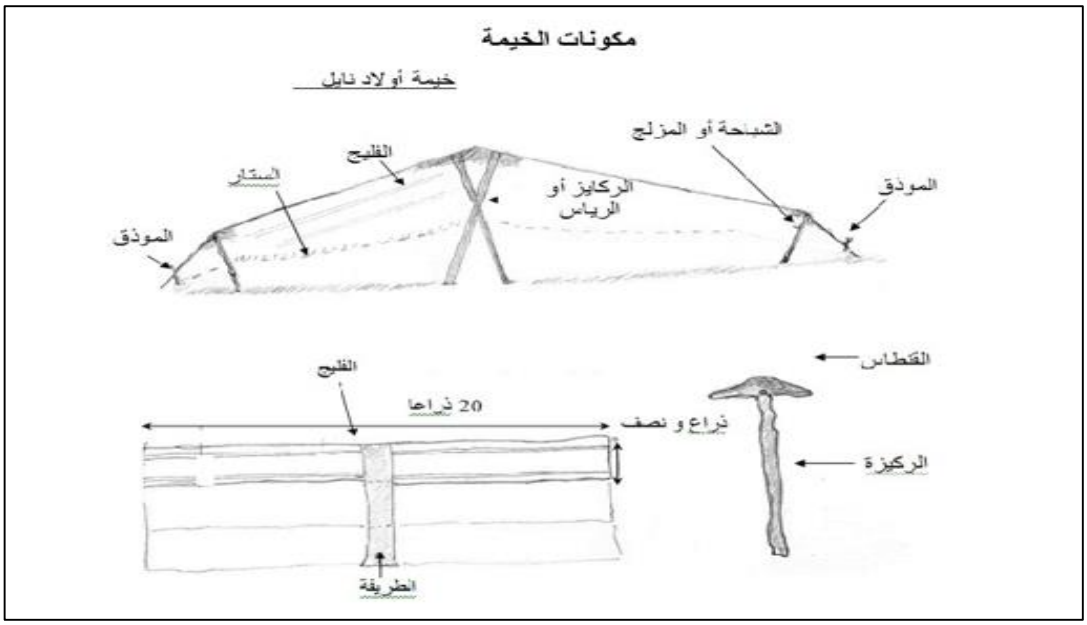

ملحق رقم03: صورة توضح مكونات الخيمة

المصدر: موقع الجلفة انفو، مقال بعنوان: خيمة أولاد نايل، ناشر عبد القادر حمدان، تاريخ النشر2012/07/12، تاريخ الاطلاع 2022/02/14، ساعة 21:17

- تستعمل في الخيمة الكبيرة خيمة اولاد نايل ركيزتان على شكل (X) لتخميد وتخفيف حركة الخيمة أما في الخيمة الصغيرة كخيمة أولاد سايح وأولاد دراج فنجد ركيزة واحدة يعلوها جزء متحرك يسمى "القنطاس" وهو أيضا موضوع لنفس الغرض الأول أي إخماد الحركة كي لا تتمزق الخيمة بفعل الرياح.
- يعزز الجزء الداخلي من الخيمة شريط يوضع بشكل عرضي كي يقوي الجزء الأكثر عرضة للحركة ويسمى الطرقية.
- يستعمل"الموذق" لتثبيت الخيمة من جميع أطرافها الخارجية أما "الشباحة" أو "المزلج " فهي لشد الجوانب الداخلية للخيمة كي تجعلها مرتفعة.
- يتفاوت قياس الفليج حسب كل خيمة وهو يتراوح بين ذراع ونصف إلى ذراعين عرضا و20 ذراعا إلى 24 ذراع طولا.
- الستار هو الجزء الذي يرفع من أمام الخيمة وخلفها كي يشكل مدخلا.

- الثمن (50 مليون سنتيم)[1].
- وقريبا من القيطون نجد الزريبة التي هي عبارة عن سياج على شكل دائري تبيت فيه الأغنام كما نجد الكثير من المعالف دلالة على أنهم يستعملون بكثرة العلف الاصطناعي للتسمين.

من هذه المعطيات نستطيع تصنيف أولاد سايح كصيافة توطنوا بسيدي الشيخ و لمغير بولاية الوادي معظمهم له أعماله القارة لا يمارسون الرعي إلا بشكل استثنائي ولهم في الجنوب بساتين و واحات، خيمهم آخذة في التردي بسبب قدمها وعدم الحرص على تجديدها كما نجد أيضا بعضا من أولاد دراج (خاصة السوامع) الذين تخلوا بشكل كلي عن الخيمة وآخرون منهم كذلك خيمهم جد متردية و مرقعة بالبلاستيك و هؤلاء لهم منازل في بسكرة أما من بقية خيمهم في حالة جيدة من ألاد سحنون ، السوامع و أولاد عيسى فهم لا يتخذون غيرها سكنا طيلة السنة و هذا ما يؤكد إمكانية اعتمادنا على جودة الخيمة للتفريق بين الرحل و شبه الرحل.

كما لا يفوتنا هنا الإشارة إلى أن كلا من الصنفين (أي الرحل وشبه الرحل) أصبحنا اليوم نجدهما في العشيرة الواحدة و حتى داخل العائلة الواحدة. **(انظر الملاحق رقم:04،05،06)**

ب. **الارتباط بالأرض:**

إن إرتباط البدو الرحل بالأرض موضوع في غاية الحساسية، فلقد أراد الاستعمار الفرنسي إستغلاله من أجل إثبات عدم شرعيتهم في إمتلاكهم هذه الأراضي لأنهم ببساطة قوم يفتقدون الإحساس بها ودوافعهم للتمسك بها ضعيفة مما قد يسهل أمر التخلص منهم

1 متوسط تكلفة المتر المربع من فليج الخيمة المصنوع من الوبر يقدر ب:10000 دج أي ملين سنتيم.

ماديا وقانونيا، لذلك إفترض الفرنسيون بادئ الأمر أن وجود هؤلاء الرحل في شمال إفريقيا إنما هو في حد ذاته إحتلال لها من طرفهم[1] .

لقد تحول مصطلح الرحل وشبه الرحل إلى مساحة لمعركة سياسة وإيديولوجية خاضها كل من رافعي لواء الاستيطان الفرنسي من جهة والمدافعين عن طبيعة و نمط حياة الترحال من جهة أخرى، دارت رحاها حول مفهوم الارتباط بالأرض؛ ما معناه و كيف يتصوره كل من الطرفين، هل يعني ترك الأرض لمدة معينة، طويلة كانت أم قصيرة، يعني بالضرورة التخلي عنها و فقدان الحنين إليها؟ يستدل المؤيدون لطرح إستئصال البدو الرحل في مواقفهم إلى سهولة تخلي هؤلاء الرحل عن مجالاتهم الحيوية حين الأزمات السياسية (الحروب)، الأمراض والمجاعات وسنون القحط، كما حدث لبني هلال وبنو سليم القادمين من أقاص الأرض إلى المغرب العربي تاركين وراءهم بلادا بأكملها؛ و لكن ألم يترك هؤلاء المستوطنون من فرنسيين، ألمان، إيطاليين وغيرهم بدورهم بلدانهم و جاءوا إلى غيرها؟ أولم يفضل بنو هلال وبنو سليم سكن صحراء كصحرائهم[2] دلالة على حنينهم لتلك الأوطان من ورائهم؟ ألم تكن التغريبة في ذاكرتهم المتواترة خير دليل على أن استعمال مفهوم الارتباط بالأرض قد يتسع عند البعض ليعني الوطن و حتى الأمة و قد يضيق عند البعض الآخر كي لا يعني أكثر من الانتماء إلى منطقة جغرافية بعينها، و إذا كان البدو الرحل قد عرفوا بارتباطهم بقطعان مواشيهم أكثر من ارتباطهم بالأرض (بمفهومها الزراعي) فقد عرفوا أيضا بذودهم اللامحدود و اللامتناهي عن حمى هذه الأوطان خلال حقبة الاستعمار و غيرتهم على هذه البلاد بكل ما يحمله هذا الإحساس من معاني التضحية و الفدى "إن الأمكنة لا تصنعها الأزمنة بل يولدها الوجدان

1 Youssef Nacib, Une geste en fragments, Publisud, Paris, 1994, P32.

2 Ibid.p33

لأنها سر من أسراره، وخاصية من خواصه، ومتعة من متعه الحسية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية"[1]

ت.زمن الصعود إلى التل والرجوع إلى الصحراء :

يتحدد زمن الصعود إلى التل بالنسبة للرحل الذين لا يزالون يحافظون على نمط هذه الحياة بشكله الكامل لكن بالنسبة لشبه الرحل فإن زمن الصعود إلى التل يختلف شيئا ما عن سابقيهم فهم لا يشدون رحالهم إلى بلدية لازرو إلا بعد انقضاء الموسم الدراسي و دخول الأبناء في عطلة الصيف و أما من يأتي منهم مبكرا فإنما يكون دون رفقة من العائلة التي سرعان ما تلحق به بمجرد بداية عطلة الصيف و نفس الشيء عند الرجوع إلى الصحراء فنصف الرحل يسدلون راجعين قبل انطلاق الموسم بأيام معدودة (شهر سبتمبر عموما) أما الرحل فلا يرتبطون بهذا الموعد إطلاقا [2] و تكون عودتهم مع بداية موسم الحرث بالتل بداية موجة البرد أي حوالي أواخر شهر أكتوبر.

ث. **النشاط الاقتصادي:**

يميل شبه الرحل إلى ممارسة نشاطات أخرى غير الرعي كالتجارة والزراعة بينما تشكل تربية المواشي وممارسة الرعي النشاط الأساسي للرحل وهم بالرغم من كونهم يمارسون كذلك التجارة أو الزراعة الظرفية[3] أو بعض الأعمال المأجورة الموسمية إلا أنها تبقى ثانوية أمام اهتمامهم بالغنم وامتهان حرفة الرعي **(المحلق رقم:07)**.

وسنرى وبأدق التفاصيل في الفصل الأخير من هذا العمل بأن محور النشاط الاقتصادي عند الرحل يتميز بنوع خاص من تقسيم العمل لا يستثني أحدا من أفراد العائلة المرتحلة والتي تشكل في نفس الوقت وحدة اجتماعية واقتصادية يضطلع فيها الفرد حسب سنه وجنسه بمهام أصبحت تقليدية في عرف البدو الرحل، فالرعي مثلا

1 www.almithnab.net/forum/index.php?showtopic=14074) le 12/04/2022 à 10AM

2لا يعني هذا بالضرورة عدم تمدرس أبناء الرحل بشكل مطلق فكثيرا ما يقيم هؤلاء عند أهل لهم مستقرين أو في اقامات مدرسية وجامعية.

3وتسمى أيضا الزراعة البعلية لأنها تنحصر على أنواع معينة من النباتات لا تتطلب الكثير من الماء للقيام بشؤونها ليكون منتوجها جيدا.

ينقسم إلى ثلاث دوريات توكل كل دورية حسب الملائمة العمرية لمن تتناسب قدرته على القيام بذلك العمل[1]:

- الدورة الأولى وتدعى الضحوة وهي دورة الرعي الصباحي وتكون من طلوع الشمس حتى منتصف النهار ويقوم بهذه المهمة الأولاد والبنات الصغار.
- الدورة الثانية وتدعى الظهيرة، تبدأ بعد منتصف النهار إلى الغروب ويقوم بهذه المهمة الصغار والأكبر سنا.
- أما الدورة الثالثة فتدعى السردة وهي فترة ما بعد الغروب وطوال الليل ويقوم بهذه المهمة الكبار لأنها مهمة شاقة وتحتاج إلى سهر وقدرة على الاحتمال ومقدرة على متابعة المواشي وحمايتها من الوحش.

	الرحـــل	**شبـه الرحـــل**
الخيمـــة	حالـة جيـدة	حالة متردية أو قيطـون
الارتبـاط بالأرض	إقامة الأعـراس بالتـلعدم وجود مقابر محدودة	إقامـة أعراس بمحل الإقامة وجـود مقابـر محدودة
زمـن الصعـود إلـى التـل	مع بداية الموسم الحر في الصحـراء ومرور الحسـوم في التـل	بعد العطلـة المدرسية أو انتقال جزئـي من العائلـة قبل ذلك
زمن الرجوع إلى الصحراء	مع بدايـة موسم الحـرث فـي التـل وتساقـط الأمطـار في الصحـراء	مع الدخول المدرسي أو انتقال جزء من العائلة فقط
النشـاط الاقتصـادي	رعـي بشكل رئيسـي	الرعي والزراعة
تنقـل القطيـع	تنقـل دائـم	تنقل موسمي
تنقـل العائلـة	كـل العائلـة تتبـع القطيـع	جزء من العائلة

جدول رقم01: أهـم المقاييـس الموضوعيـة للتفريـق بين الرحل وشبه الرحل

1 لغريبي نسيمة، تجربة توطين البدو الرحل بالمدينة الصحراوية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قسنطينة ،2007، ص35.

3. المقاييس الذاتية:

يعتقد محمد بوخبزة أن التفريق بين الرحل وشبه الرحل لا يمكن حصره في تصنيف نوع منازلهم أو مدى تنقلاتهم وحسب بل يجب كذلك معاينة ذلك في سلوكياتهم وحتى ذهنياتهم، فليس مجرد سكنهم مساكن من طوب ينفي عنهم نمط حياتهم دفعة واحدة ولا يمكن الحديث إطلاقا عن تحضرهم إلا بعد مرور ثلاث أجيال من استقرارهم[1].

أ. العمل القار:

إن أهم شيء يبحث عنه الرحل بالإضافة إلى السكن القار هو العمل القار أيضا الشيء الذي يمكن أن يضمن لهم قوتهم وقوت عيالهم وهذا العمل يشكل في حد ذاته إشكالية عدم توفره أمام الطلب المتزايد عليه وتفشي البطالة حتى في أوساط الجامعيين والمؤهلين لشغل مناصب كالتي يرغبون فيها.

وتبقى إمكانية العمل عند الخواص (القطاع الخاص) تخلو من إمتيازات الشعور بالأمن وتأمين المعاش و كذا التعرض للاستغلال مقابل أجور زهيدة، كل هذا يجعل الرحل في حالة إنعدام وضبابية لرؤية واضحة لمستقبلهم فالغد هو المجهول عندهم و التمسك بما لديهم من خبرة في العيش يبقى الملاذ الوحيد و الأمل الأكثر حظا في مصادفة جميلة قد تغير حياتهم جملة و هذه المصادفة تتوقف على "عام صابة" أي سنة يكون فيها المرعى متوفر بكثرة في الصحراء وترتفع في نفس الوقت أسعار الغنم فيستطيع الراحل ببيعه جزءا من القطيع أن يشتري المنزل والشاحنة و كذلك بستان النخيل فيوفر بذلك أسباب الاستقرار النسبي على الأقل بتحوله إلى حياة شبه الراحل أي ضمان مسكن في الصحراء لتأمين التمدرس للأبناء و الإبقاء على إمكانية التنقل خاصة إلى التل في فصل الصيف لمزاولة الاعتناء بقطيع الغنم، أما عندما تسوء الأحوال و تتعاقب سنوات الجفاف و يهـتلك قـطيع البدوي فـإن اختيار التوطن و الكف عن التنقل يكون

1 Boukhobza M'hamed, Op.Cit., p.312.

مصيرا محتوما لكنه ليس نهائيا فخبرته في الرعي قد تتيح له من إيجاد العمل عند الموالة كراع مما يعني العودة من جديد إلى حياة الترحال و في حالات أخرى قد تساعد ظروف بعضهم على الإبقاء على الشاحنة و استغلالها للعمل في النقل فجل الرحل اليوم لهم رخص السياقة الشاحنات مما قد يؤهلهم كذلك لسياقة الحافلات أي في كلتا الحالتين الحصول على عمل يمكنهم من الاستقرار و الدخول في حالة توطين حقيقية.

ب. **الرموز الثقافية:**

إن السؤال الذي يطرح نفسه في كل الأحوال أمام هذه الوضعيات المختلفة التي يؤول إليها التحول في هذا المجتمع من رحل إلى شبه الرحل أو إلى التوطين النهائي هو: هل أسس التوازن داخله خاضعة فقط لبنى اقتصادية إنتاجية وتوزيعية معينة أم أنها مرتبطة بصفة جدلية وعضوية برموزه الثقافية؟[1]

أما الأولى (أي جوانبه المادية الاقتصادية) فهي ولا شك معرضة للتحول والتبدل من سيئ إلى أحسن أو العكس لكن تمزق وتصدع الثانية (أي الجوانب الرمزية الثقافية) فيبقى له آثارا سلبية مؤلمة على حياتهم النفسية[2] التي تتنازعها قيم جديدة على حساب القيم المتوارثة عن الآباء والأجداد من فضائل العيش والكرم والاعتزاز بالانتماء للعروبة وحياة الشدة وإغاثة الملهوف والزهد والشجاعة كل هذا أمام النزعة الجديدة للفردانية وتعميم المعاملات النفعية المبنية على تثمين كل ما هو مادي في عالم الرأسمالية المتوحشة.

- **الغفارة:**

هكذا يبقى الاستقرار النفسي أيضا ضالة الرحل و البحث عن هويتهم التي كان للاستعمار الفرنسي دور كبير في صدعها، إحدى مآربهم و مطامعهم و هم يحيون ذلك

[1] Youssef Nacib, Une geste en fragments, Publisud, Paris, 1994, p09.

[2] Ibid.p08

بأدنى رموز الانتساب إلى الماضي المجيد، فأولاد أم لخوة من أولاد عيسى مثلا لا يزالون إلى يومنا هذا يؤدون الغفارة [1] جدهم سيدي نايل إلى سيدي بن خليفة و سيدي عيسى و مقدم كل زاوية يأتي كل صائفة إلى ناحية عين عبيد و يتقدم من كل خيمة حمراء يجدها ليسأل عن حقه، فيعطى لسيدي ابن خليفة الرخلة (العلوشة)[2] و يعطى لسيدي عيسى الشاة "الشارف"[3]، ومرد هذا التقليد يعود إلى حكاية يتوارثها أولاد سيدي عيسى بن نايل و يرددونها لأبنائهم و هي أن جدهم نايل كان ذات مرة يجلس مع سيدي بلكحل[4] في خيمته و إذ بأربعين فارسا يقصدونه طالبين الغفارة فأشار عليه بلكحل بأن يأمرهم أن يطوفوا بجانب الغنم و من كان له برهان وتبعته شاة فهي له وسيظهر ذلك في الحين ،وكان الأمر كذلك، فلم تتبع الشياه أحدا منهم سوى سيدي بن خليفة الذي لحقته الرخلة وسيدي عيسى تبعته "الشارف" فهم من ذلك الحين إلى يومنا هذا تؤدى إليهم هذه الغفارة تقليدا وعطية للتبرك بالجد الولي صاحب البرهان سيدي نايل.

- **كبير الجماعة:**

لا يزال كبير الجماعة على غرار المشيخة في الماضي يحتل مكانة خاصة عند البدو الرحل فهم لا يحتكمون إلا لرأيه ومشورته وهو الزعيم الذي يجتمع الكبار في بيته للتسامر والأنس في سائر الأحوال أو مناقشة قضايا "عرشه" من أمور الترحال ومقاصد الحال أو قد يكون الأمر بت في نزاع بين متخاصمين من نفس القبيلة أو مع غيرهم من السكان يكون فرد أو جماعة منهم طرفا فيه ،فهو الذي يمثلهم عند غيرهم و هو الذي يتكلم باسمهم *" اللي ماعندوش كبير يسمى صغير"* **(الملحق رقم:08)**، و يعمل الكبير على تعزيز مكانته وإظهار قدراته أمام قومه فهو الرجل الذي يحل مشاكل كل القبيلة عن طريق اتصال بسيط من الهاتف النقال.

[1] الغفارة معناها السماح وهي نوع من المغارم تفرضها القبائل القوية أو المخزنية على غيرها من القبائل الضعيفة نظير الحماية.
[2] الرخلة هي الشاة التي بلغت الحول وغيرت سنين من قواطعها العلوية.
[3] الشارف هي الشاة التي تجاوزت الأربع سنوات واستبدلت كل أسنانها.
[4] سيدي بلكحل هو أحد الأولياء الصالحين له مقام عظيم لدى أولاد سيدي نايل.

الفصل الرابع

الجانب الميداني للدراسة

1. تحليل بيانات الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا وفي جمعنا للمعلومات الدراسة على أداتين مهمتين للباحث الانثروبولوجي ألا وهما الملاحظة بالمعايشة والمقابلة كونهما انسب أداتين تتماشيان مع خصوصية موضوعنا ومجتمع دراستنا وبعد تسجيل ملاحظاتنا وقيامنا بالمقابلات التي بلغ عددها 12 مقابلة نذهب الآن الى تحليل نتائج المقابلات

1.1. تحليل المحور الأول بيانات الشخصية للمبحوثين:

1.1.1. **من حيث السن:** اختلف سن المبحوثين الذين قمنا بإجراء المقابلات معهم اختلافا كبير إذ نجد مبحوثين في سن 26 سنة وآخرين قد بلغوا 80 سنة وهذا الاختلاف وتفاوت الأعمار بين المبحوثين يعون بالإيجاب على نتائج الدراسة وذلك من خلال اختلاف في أجوبة المقابلات واختلاف الخبرات والمهارات المعيشية للبدو الرحل لمختلف الفئات العمرية المذكورة التي تعيش حياة البدو.

نستخلص من الفئات العمرية المدروسة ان هذا المجتمع غني بالأفراد أي مجتمع حيوي يعني تتواجد فيه نسب عالية من الشباب والأطفال ولطبيعة المجتمع المحافظ وعدم توفر الوسائل الجديدة التي تمنح الحمل وفي معتقداتهم فكلما كبرت العائلة كلما أصبح لها شأن فنجد في العائلة الواحدة ومن زوجة واحدة على الأقل حوالي خمسة (5) أطفال.

1.1.2. **من حيث المستوى التعليمي:** لم يعرف المستوى التعليمي للمبحوثين اختلافا كبيرا إذ لاحظنا وجود تفاوت طفيف بينهم وعرفت نسبة الأميين ارتفاعا كبيرا حيث شكلت أكبر نسبة وإذا أردنا تفسير سبب هذا الارتفاع فإننا نرجعه الى التنشئة الاجتماعية الموروثة عند هذا المجتمع وأيضا الي عامل التنقل الدائم للرحل الذي لا يمكنهم من الاستقرار في منطقة معينة او مدينة معينة وهذا السبب لا يجعلهم قادرين على مزاولة الدراسة.

ومنه نستخلص أن هذا المجتمع على الأغلب يكون أمي وذلك لطبيعة الترحال وعدم الاستقرار وحتى لا نعمم هذه النتائج ففي الفترات الأخيرة أصبحوا يُدرسون أبنائهم المستوى الابتدائي أي يتعلمون القراءة والكتابة فقط او يدخلونهم الزوايا لتعلم وحفظ القران يقول أحد البدو "*حنا مقرناش ووالدينا مقراوش بصح راه عندي طفل قريتو باه كي تجيني بربة من عند دولة ولا كشما تجي شكوى من عند صحاب كوستيم يقراهالي طفل* " (س.ل)

1.1.3. **من حيث الحالة العائلية:** تعمدنا في اختيارنا لعينات الدراسة أن ننوع في الحالة العائلية من اعزب الى متزوج الى مطلق و...الخ و كما لاحظنا أن هذا المجتمع البدوي اغلب شبابه متزوج ، كما لاحظنا أيضا انهم يزوجون شباب في سن صغير فقد تصادفنا مع شباب في سن 17 متزوجين و هم أباء بدورهم وأيضا فهذا المجتمع يعدد الزوجات فوجنا في العائلة الواحدة من ثلاثة الى اربع زوجات كون أن الزوجة عامل فعال في نشاط الرعوي و الفلاحي، و كونها أيضا في معتقداتهم تدخل تحت دائرة الرجولة و الفحولة و هذا الحال قد ساعدنا في الدراسة و في اختلاف الإجابات و تنوعها.

وخلاصة من مجموعة المقابلات وجدت أن البدو الرحل يحبون تعدد الزوجات، فهي في معتقداتهم أنها مفخرة وقمة الرجولة والفحولة فالرجل البدوي الذي لا يتزوج على الأقل مرتان ليس برجل حقيقي كما يقول أحد البدو" *ياو راجل لي ميجيبهمش عقاب بعض موش راجل" (س.ل)* ويقصد ب*(ميجيبهمش)* هنا على النساء ولطبيعة هذا المجتمع فذكر اسم امرأة او زوجة ممنوع ومحرم فتجده يخاطبهم بضمير المذكر او بالجمع مثلا (الجماعة، الدار، الموالي، قلهم، جيب من عندهم)

1.1.4. **من حيث طبيعة امتلاك نشاط رعوي:** نقصد بالحالة المهنية إذا كان المبحوثين يزاولون أي نشاط تجاري أو اقتصادي أو هل هم رعاة فقط وهل رعاة لأملاكم من القطيع او انهم رعاة أُجراء عند ملاك أخرين ومن ملاحظاتنا أننا لاحظنا أفراد هذا المجتمع لا يزاولون أي نشاط أخر خلافا عن الرعي وتربية حيوانات يتغذون عليها

ويلبسون من صوفها ولا يفكرون في العمل مطلقا إلا إذا كانت العينة لا يملك قطيع فتجده راعي عند شخص أخر مقابل تبادل المنافع.

ومنه نستخلص أن البدو الرحل يعتمدون في حياتهم على الرعي بالمواشي وبعض الحيوانات الأخرى التي يملكونها وفقط و لا يمارسون أي نشاط أخر خلافا على هذا النمط التقليدي من الحياة.

1.1.5. **من حيث الانتماء الى القبيلة (العرش):** نقصد بالانتماء الى القبيلة هنا الى أي عرش ينتمى المبحوث فوجنا أن اغلبيه الرحل المدروسين ينتمون الى عرش أولاد نايل لكنهم يختلفون في الفرق او (بطون) فمنهم من ينتمون الى أولاد رحمة ومنهم من هم سوامع و أخرون أولاد دراج وأولاد عيسى فملاحظتنا الأولى كانت هذا الاختلاف الواسع على الرغم من أن حسب أقوال المبحوثين او الروايات الشفوية المتناقلة فإن الشعيبة يسكنونها أولاد رحمة و هي بطن من بطون أولاد نايل و لكن و مع الترحال و كثرة انتقال البدو الرحل فقد انتقلوا معهم أيضا بطون أخرى و تصاهروا و اصبح يوجد داخل العائلة الواحدة بطنين او اكثر و عندما نقول عائلة فنحن نقصد العائلة الكبيرة (البيت الكبيرة) و هيا العائلة الممتدة من الأجداد الى غاية الأحفاد.

وخلاصة من ملاحظتنا وجدنا أن البدو الرحل يتمسكون بانتمائهم الى القبيلة والعرش وهم يفخرون اشد فخر بهذا الأصل، كما أن جل مشاكلهم وحروبهم مع القبائل الأخرى تكون لفرض هذا الانتماء وهذا الأصل، لكن ملاحظتنا الأخرى أن العينات الشبابية لم تكن متعصبة لهذا الانتماء كما لاحظنا عند المشايخ وكبار السن.

1.1.6. **من حيث انتمائهم الى بدو الشراقة او الغرابة:** المقصود بمصطلح بدو الشراقة او الغرابة و هو مصطلح يطلع على البدو التي تنتقل الى الشرق (تل) في محطة الصيف و الغرابة أي بمعنى تنقلهم الى الغرب في رحلتهم الى التل في فصل الصيف، و ملاحظتنا التي خرجنا بها أن اغلبيه المبحوثين من البدو الشراقة و عند

استفسارنا عن لما يفضلون الشرق فقد كانت إجاباتهم أن جو الشرق يساعد قطعانهم و لا يضرها بينما جو الغرب يكون باردا جدا ليلا و هذه البرودة تأثر على قطعانهم يقول احد المبحوثين: "*جو الثل اكل مليح بصح الغرب ليلها بارد و النعاج متقدرلوش و قادر حتا يكتلها*" (س.ل).

ومنه نخلص الى أن البدو الرحل حذريين على قطعانهم وهم يتنقلون الى الأماكن التي تتماشى مع طبيعة مواشيهم فهم يخافون عليها كما يخافون على أبنائهم.

1.1.7. **أما بخصوص امتلاك القطيع أو بصفة راعي أجير:** كانت معظم الإجابات على هذا التساؤل أن القطيع لهم وانهم ملاكها ولكن هذه القطعان لم تكن بالحجم الكبير فقط كانت محصورة بين حوالي 50 شاه الى 200 كحد أدني لم يتسنى لنا حسابها وذلك لمعتقد الرحل حول البراكة فقد قال أحد المبحوثين "*لالا متعديش الغنم تروح منها البراكة وتولي متولدش*" (ح.ع).

ومنه نستخلص أن بدو الرحل يملكون نشاط اقتصادي خاص بهم يقتاتون منه وعليه كما أننا نستخلص أيضا أن للمعتقد الشعبي دور كبير في حياة البدو الرحل فهم يؤمنون به إيمان كلي ويعيشون حياتهم بناءا على هذا المعتقد.

1.2. تحليل المحور الثاني: تأثير الانعكاسات الحضرية على الإنتاج الرعوي والاقتصادي للبدو الرحل

أما بالنسبة لتأثير الانعكاسات الحضرية على الإنتاج الرعوي والاقتصادي للبدو الرحل فقد كانت كالتالي:

أ. الإنتاج الرعوي

1. رحلة صعود البدو الرحل الى التل:

لم تفقد حركة البدو الرحل طابعها التقليدي فيما يخص تزامن الصعود أو القدوم إلى التل فببداية فصل الربيع (أوائل مارس) يتسابق الرحل إلى الشمال بحثا عن الكلأ

لأغنامهم في المناطق التي عهدوا شد المتاع إليها في مثل هذا الوقت من كل سنة و لأن المناطق الرعوية تكون في فصل الربيع منحصرة على الجبال و سفوحها و بعض القطع الفلاحية التي تخضع للراحة "العطيل"[1] فإن التنافس يكون محموما للفوز بهذه الأراضي خاصة إذا كان العام شحيحا من حيث تساقط الأمطار الأمر الذي قد يؤدي إلى تضاعف أسعار إستئجارها من أصحابها، وقديما كان الرحل ينطلقون على ظهور جمالهم أو جيادهم للبحث عن العشب في عملية منظمة تسمى "الحواسة"[2] ، توكل مهامها لمن هو أكثر فراسة وشجاعة بينهم فكانوا يقطعون مسافات جد طويلة يتعقبون آثار الأمطار ببرقها ورعدها إبتغاء لمنابة الخضرة وهذا أحدهم يسترجع تلك الأيام الخوالي فيقول:

" بكري كنا نركبو الزوايل .. وين تبرق نمشيْو، وين إلوح لعجاج نكونو عندو... وو.. كي نشمو ريحة التراب نعرفو بلي النو طاحت، نعينو لبلاصة، وو بعد 40 يوم نرجعولها، نلقاو لحشيش ناض ،..نخلو لغلم تسرح وو نبقاو نحوسو" (س.ك).

أما الآن فقد أصبحوا يستخدمون الشاحنة عوض الجمل والحصان لتنظيم عملية الحواسة ويستعملون كذلك الهاتف النقال للإتصال بمعارفهم يستفسرون عن "حال العام وأحوالهـ" بسؤالهم عن تساقط الأمطار كما أنهم لا يفوتون فرصة الإستماع إلى النشرات الجوية لنفس الغرض عبر الراديو وحتى التلفاز[3] الذي أصبحت خيمهم لا تخلو منه، و على العموم فإن تنقل البدو الرحل وحركيتهم ليست بالعشوائية التي يمكن تصورها ،"فكل مجموعة منهم يحكم تنقلها عادة محور معين، فهم يتحركون بشكل شبه ثابت و

[1] العطيل أو العطال هي طريقة تقليدية في ممارسة الفلاحة حيث تترك الأرض دون حرث وزرع لمدة سنة كاملة كي تسترجع عافيتها للموسم الزراعي المقبل.

[2] الحواسة هو اسم يطلقة عرب الجزائر قديما على البدو الرحل وذلك لما يحمله هذا النعت من فراسة وشجاعة.

[3] عادة ما يكون هذا التلفاز من نوع المحمول Portatif ويشغل في الغالب عن طريق بطارية الشاحنة لذلك نجد هذه الأخيرة دائما مركونة بجانب الخيمة من الجهة الخلفية وهذا ليسهل وصل أسلاك الكهرباء منها إلى التلفاز لكن من الرحل اليوم كذلك من بدأ في إقتناء المولدات الكهربائية من الحجم الصغير (220 فولط) التي تعمل بالبنزين.

بتردد نسبي حول فضاء سكني معين[1] و هذا ما تؤكده لنا كذلك شهادات بعض الفرنسيين في الجزائر خلال حقبة الاستعمار ففي سنة 1948م كتب كل من كارات و وورنيي : "لا توجد في الجزائر قبيلة تائهة بالمعنى التام للكلمة، إن القبائل الأكثر تنقلا يخضعون في حركيتهم إلى قوانين معينة تضبط بشكل يكاد يكون ثابتا مجال سكنهم، زراعتهم و مسيرتهم"[2] و نفس الرأي يبديه كل من : ن. لاكروا و أوقستين بارنار عندما يؤكدان خمسون سنة بعد ذلك أنه "من الخطأ الشائع الاعتقاد أن البدو الرحل يتنقلون عبر البلاد دون قواعد ثابتة، حسبما يرغبون"[3]، وهذا أيضا ما أكده سيمينون في وصفه لسكان روسيا الوسطى مبينا عمومية القوانين التي تحكم ظاهرة الترحال فيقول : " عند بدو الكيرغيز كل قبيلة و كل فخذ يحلون دائما بنفس الوديان و نفس الأماكن و حقوق التمتع ببعض المناطق لتمضية فصل الشتاء وإستغلال بعض المراعي مضبوطة بصرامة في القانون العرفي عند الكيرغيز". [4]ونفس الشيء بالنسبة لحياة الترحال في الجزائر والتي كانت بدورها عملية منظمة بين مختلف المناطق في البلاد (تل – هضاب عليا، تل – صحراء – هضاب عليا، صحراء و العكس)، و بالمقابل لم يكن هذا التنظيم يأخذ شكلا محددا بعينه و دقيقا بأتم معنى الكلمة، فالزمن المناسب فقط كان يحكم وجهة هؤلاء الرحل و المسافة التي يجب قطعها، كما أن العلاقات التي كانوا يقيمونها مع محيطهم الطبيعي و السوسيو– سياسي كانت تلعب دورا مهما في تحديد هذه التنقلات[5]، والأمر هنا لا يختلف كثيرا عما كان عليه الحال قديما فالوافدون إلى لازرو من الرحل لا يشذون عن هذه القاعدة **(أنظر الخريطة رقم 03)** ، و قد أكد لنا جل المبحوثين أنهم ألفوا القدوم إلى

[1] Nadir Marouf, Op. Cit., p.50

[2] Ibid., p.51

[3] Ibid., p.51

[4] M'hamed Boukhobza, Op. Cit. , p.19.

[5] M'hamed Boukhobza, Op. Cit. , p.19.

هذه النواحي وإعتادوا عليها، وهم يقيمون علاقات جد حميمة مع سكانها تصل إلى درجة المصاهرة ، كما أن لهم فيها أهلا قد إستقروا بها منذ أمد بعيد، أما رحل أولاد رحمة وبشكل خاص فيشغفون بالمنطقة إلى حد كبير، يقول راحل من اولاد رحمة[1] :

"*لازرو هواها طيب وعشبها نافع لغنم تاكل التراب هنا.. ترتاح..خير ما تاكل حشيش الحدرة ما فيه حتى فايدة..وو لهوا ثمه مسموم ..لغنم تمرض وو العبد يمرض*" (س.ك).

حتى أنهم لا يبغون التحول عنها ولو إلى مناطق قريبة جدا كوادي الزناتي[2] بالرغم من شساعة أراضيها ووفرة مراعيها لأن كلأها لا نفع فيه لأغنامهم حسب إعتقادهم وتجربتهم

إن تحول البدو الرحل من وجهة ألفوا أهلها ومرعاها لا يكون إلا تحت ظروف جد قاسية كدوام سنوات القحط بتلك المنطقة أو انتشار الأمراض بها كما أن الحروب والنزاعات الشديدة تغير أيضا من مسارهم فأولاد "أم لخوة"[3] مثلا لم يعهدو القدوم إلى ازرو إلا في غضونالإثني عشرة سنة المنصرمة فوجهتهم الرئيسية كانت ولاية تيسمسيلت إلا أن إنتشار ظاهرةالإرهاب في العشرية السوداء بتلك المناطق غير من وجهتهم.

ومنه نستخلص أن الرحلة الى التل لا تكون كنتيجة اعتباطية بحت فهي تمر على مجموعة من المراحل التي تكون وفق قواعد وأسس تمرسوا عليها البدو الرحل من رحلاتهم السابقة، لكن هذه الرحلة تطورت واختلف شكلها على الرحلات القديمة فقط دخلت مجموعة من التحديثات الجديدة التي ساعدت البدو الرحل على التنقل من بينها الشاحنة في عوض عن الجمل والتلفاز والمذياع لنقل الأخبار ومعرفة أحوال الطقس.

[1]اولاد رحمة بطن من بطون قبيلة أولاد نايل والتي تضم أيضا أولاد معمرو أولاد شتيوي كبطن مستقل وكل من هذه البطون يدعي أنه أصل القبيلة الأم، يتميز أولاد رحمة عموما عن باقي الرحل بلون خيمتهم الحمراء.

[2]تقع وادي زناتي مركز على بعد 28 كم من لازرو مركز و المنطقة هنا لا يقصد بها وادي زناتي بأكملها بل تستثنى منها بلدية رقادة حتى مشارف كيفان العسل وتنعت في كلام الرحل و سكان المنطقة بالحدرة لأننا ننحدر نزولا إليها .

[3]أولاد أم لخوة يقصد بها أولاد أم الإخوة وهم بطن من بطون أولاد عيسى والذين يرجعون بدورهم إلى القبيلة الأم أولاد نايل.

2. فصل الربيع عند البدو الرحل:

يبدأ توافد بدو اولاد رحمة مع تحسسهم إرتفاع درجة الحرارة في التل إلى تخوم غابات عين برناز و سفوح جبل مسطاس التي تقع كلها شمال لازرو والتي تعرف محليا بالساحل في خطوة أولى لترصد المراعي الشاسعة التي تقع جنوب البلدية والمعروفة بصراوات برج مهيريس و لكحالشة كبار وهذا طبعا للفوز بتلك الحقول بعد عملية الحصاد، أما قبل ذلك فهم يحاولون تمضية الربيع مستغلين المراعي الجبلية و تخوم الغابات في فرصة لتمضية هذه الفترة دون تكاليف و أعباء تثقل كاهلهم و تسمح لهم في نفس الوقت مع نهايات شهر ماي بجز صوف أغنامهم في أحسن حال ،لكن الأمور لا تسير دائما كما يشتهون فهذه الأراضي (سفوح الجبال والجبال) قد يظهر لها مالك طارئ:

" *مرة على مرة إيجيك واحد في طاكسي ماركة وو لابس كوستيم و كرافات و يقولك هذه رزقي لازم تسلكوني، و حنا ما نقدروش نعرفو إذا كانت ملكو صح ولا، لالا* " (س.ك).

فيضطرون في هذه الحالة إلى التفاوض من أجل تخفيض ذلك المبلغ المطلوب، ثم يتم جمعه بالتساوي من كل خيمة من طرف كبير الرحل ليعطى إلى طالبه، و في حقيقة الأمر فإن كل من تتاخم أرضه لتلك السفوح و تلك الجبال يعطي لنفسه الحق في الإدعاء أن ما دون ذلك ملك له فيطالب هؤلاء الرحل بحقوق استغلال تلك المراعي، والبدو الرحل من طرفهم حتى و إن علموا بذلك فإنهم لا يلجؤون إلى السلطات المحلية لتقديم شكواهم والسبب يكمن في حرصهم على الحفاظ بالعلاقات الجيدة مع السكان المحليين حتى يتسنى لهم الرجوع في العام المقبل دون أي حرج:

" *أحنا مسلكين... مسلكين هذا ولا الجادرمية[1] أمالا نسلكو هذا ونربحو لملاحة باش ما نلقاوش مشاكل العام الجاي* " (س.ك).

[1] الجادرمية كلمة عامية أصلها فرنسي و هم الدركيين Les Gendarmes .

و نفس الشيء يحدث بالنسبة لرعي الغابات فحراسها يمنعون منعا باتا أي ولوج للغنم فيها لكن لكل قاعدة إستثناء:

"القوارد[1] كون ما تعطيهمش ما يخليوكش ترعى، نهار لول ينهرونا و ييهدونا ب..سيزي وو من بعد إولّيْو يحكيو معاك وو يشكيوْلك وو من اوراها اقلك سلفلي سوارد راني محتاج وو مانيش لاحق ..كلي حنا رانا فالخير.. وأنت راك تفهم تولي تعطيه وو راك ترعى و خلاص* "(س.ك).

وهذه الممارسات في الحقيقة وإن إتخذت طابعا تسلطيا جديدا فهي موجودة منذ القدم، ففي الماضي كان يستوجب على الرحل أن يدفعوا الغفارة لزعماء القبائل القوية وممثلي السلطات مقابل الرعي وحتى إتاوات المرور على أراضيهم[2].

ولا تنتهي مشكلة المرعى إلى هذا الحد فأصحاب الأراضي المزروعة أيضا لا يقبلون بأي شكل من الأشكال أن تقترب قطعان الغنم من زرعهم:

"كي نجيْو لتل تصعاب الحالة، لازم الراعي ما يغفلش على لغلم خلاص باش ماطيحش في زرع الناس"(س.ك).

أما في حالة إنتهاكها عن سهو من طرف الراعي فالعواقب تكون وخيمة وقد تنتهي بنزاع حاد بين الطرفين[3] لذلك يحرص المرتحل كل الحرص على الابتعاد قدر المستطاع عن تلك الأراضي فهو قد يضطر لحمل كل غنمه في الشاحنة فقط لينقلها كيلومترين أو ثلاث وهذا تفاديا لأي خطأ من ذلك النوع. هذه الأبعاد الجديدة لتقسيم الفضاء اليوم دفعت بالرحل إلى التعديل في الكثير من عاداتهم القديمة كي يتمكنوا من التعايش

[1] قوارد هم حراس الغابات Gardes-forestiers.

[2] M'hammed Boukhobza, Monde Rural, Contraintes et mutations, O.P.U, Alger, Novembre 92, p.19

[3] يفض هذا النزاع عادة بطريقتين إما باللجوء إلى العدالة أو إلى "الجماعة" والتي تتكون من كبار القوم من طرفي النزاع، يحكمون حسب العرف السائد بالتعويض للمتضرر فيكون هذا التعويض حسب عدد رؤوس الماشية التي وقعت في الزرع.

والإستمرار، إن إمتلاكهم اليوم للغنم لا يمكن أن يتعدى عتبة معينة وهذا كي يتمكنوا من السيطرة عليها وعلى رعيها:

"بكري كان الواحد منا يقدر يكسب حتى الخمس ألاف راس، ضرك لمخير فينما يقدرش يكسب خمس مئة، بكري كنا نمشيو بيها..ضرك لازم تهزها وو زيد ضرك ما عندكش وين ترعى بيها، الدنيا كل محكومة وو باش ترعى لازم تكري " (س.ك).

وهذا مرتبط أيضا بسعة حمولة الشاحنة[1] لعدد رؤوس الأغنام فلا يمكن في كل الأحوال أن يعمل الموال منهم على نقل غنمه من الصحراء أكثر من مرتين أو ثلاث ، كما أنهم يقومون أيضا بجلب الماء إلى القطيع في صهاريج كبيرة تحمل أيضا في الشاحنة وهذه الصهاريج أصبحت مشاهادتها اليوم مألوفة بجانب الخيمة لان سياقة القطعان إلى وردها صار كذلك بالصعوبة بمكان لنفس الأسباب السالف ذكرها، و قد إكتسب البدوي هذه القدرة على التعايش مع الظروف الجديدة بملكة "Un habitus" تسمح له بالتأقلم و التعديل من سلوكياته وعاداته عندما تتغير شروط الحياة الاجتماعية و التاريخية ،"فعندما تفقد التقاليد القديمة طابعها الحسي والملموس يضطر الناس إلى إعادة توظيفها وإكتشافها بشكل مختلف حتى يتمكنوا من حماية أنفسهم، فالتقاليد ليست جوهرا بذاتها يمكن أن تصمد أمام التحولات التاريخية"[2]**(أنظر الملحق رقم:09 و10).**

و منه نستخلص ان فصل الربيع عند البدو الرحل يبدا مع ارتفاع درجة الحرارة أي بدايات شهر ماي بالساحل في خطوة أولى لترصد المراعي الشاسعة التي تقع جنوب البلدية والمعروفة بصراوات برج مهيريس و لكحالشة كبار وهذا طبعا للفوز بتلك الحقول بعد عملية الحصاد، أما قبل ذلك فهم يحاولون تمضية الربيع مستغلين المراعي الجبلية

[1] تشتهر كل جماعة بإمتلاكها لنوع معين من الشاحنات فاولاد رحمة مثلا معروفون بتفضيلهم لشاحنة من نوع : SAVIEMو التي تهيؤ على طابقين حتى تتمكن من حمل أكبر عدد من رؤوس الماشية.

[2] Addi Lahouari, Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu, Le paradigme anthropologique kabyle et ses conséquences théoriques, La découverte, Paris, 2002, pp.46-47.

و تخوم الغابات في فرصة لتمضية هذه الفترة دون تكاليف و أعباء تثقل كاهلهم و تسمح لهم في نفس الوقت مع نهايات شهر ماي بجز صوف أغنامهم في أحسن حال، لكن في الازمنة الاخيرة و بعد استقلال الجزائر اصبح لهذه الاراضي ملاك خواص، اصبحت الاراضي العامة تحت سلطة الدولة فيضطرون في هذه الحالة إلى التفاوض من أجل تخفيض ذلك المبلغ المطلوب، ثم يتم جمعه بالتساوي من كل خيمة من طرف كبير الرحل ليعطى إلى طالبه.

3. العوائق المناخية:

من الناحية الزمنية يكون قدوم الرحل إلى لازرو بعد ضمان مرور التقلبات الجوية التي يمكن أن تحصل في فصل الربيع خاصة خلال شهر مارس الذي يعرف بتساقط الثلوج في هذه المنطقة فيقول الناس هنا " *مغرس بو الثلوج*"، و هذا كي لا تتعرض أغنامهم إلى موجة برد فتاكة قد تؤدي إلى هلاكها، فالمعروف أن الشاة لا تتحمل درجات الحرارة الجد منخفضة، وللبدو الرحل كذلك حسابات يعرفونها جيدا بما تراكم لديهم من خبرة في معرفة أحوال الطقس في هذه الفترة من السنة بما يسمى " حساب عرب " أو "لوقات لحساب" و هذه الأوقات لا يعرفها إلا كبار القوم و أعيانهم[1] فعندما تمر الفطيرة التي تحدث فيها تقلبات جوية غريبة حيث يسقط المطر والثلج و البرد في يوم واحد يقول لك الرحل:

"*كي تفوت الفطيرة ما تبقى فالسما حيرة*"

وهم يضمنون بذلك بداية موسم الحر مع خروج الأيام التي تسمى "الحسوم"[2] فيقولون:

---

[1] Pierre Bourdieu, Le sens pratique, Les Editions de Minuit, Paris, 1980, p.334

[2] لحسوم: سميت كذلك لأنها أيام تحسم بين فصل الشتاء و فصل الربيع و المعروف أنها أيام قاسية شديدة متتابعة يصطلح الناس أنها ثمانية أيام لا يبرد الحلوف (أي الخنزير) في الجبل إلا فيها ولا يتكسى اليهود كساء الشتاء إلا خلالها، و يزعم البعض أنها هي الحسوم التي أتى ذكرها في القران الكريم في سورة الحاقة (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً)والمقصود هنا العذاب الذي نزل بقوم عاد بسبب كفرهم وتكذيب الرسل، و يتشاءم البعض منها تشاؤما كبيرا و يعتبرونها أيام نحس لا خير فيها فلا يقربون نساءهم فيها و لا يتزاوجون إلا بعد ذهابها و تعرف كذلك هذه الأيام كلا باسمها فالأول الصر، الثاني الصنبر، الثالث الوبر، الرابع الامر، الخامس المؤتمر، السادس المعلل و. السابع مطفئ (http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp) Le 18/05/2022 à 10h

"*كي تفوت الحسوم تعرى وعوم يا الراعي لمشوم*" (س.ك).

و هي تتزامن مع خروج شهر مارس و دخول النصف الثاني من شهر أفريل حيث يبدؤون فعلا في القدوم إلى مناطق التل التي تعرف لديهم بالساحل حيث يعتبرون أن الخطر قد زال و أن القطيع قد نجا بمرور الحسوم[1]، لكن من المفارقات التي يمكن أن تخذل هذه الخبرة هو تساقط الثلوج بمنطقة أزرو بعد مرور هذه الأيام فتتعرض قطعانهم إلى خطر حقيقي؛ ففي عام 1985م أدى سقوط الثلج إلى كارثة حقيقية هلكت على إثرها أغنام كثيرة ولا تزال هذه السنة تعرف عند الرحل إلى يومنا هذا ب:"عام القضاية"، لذلك يقال أن اليهود في الجزائر أدرى بالمناخ من غيرهم فيقولون ردا على حسابات العرب :

"*ما تحسب حساب و ما يكذب عليك كذاب حتى تنور السدرة و يزيد العناب*"

أي أن البداية الحقيقية للحر لا تكون إلا أواخر ماي (40 يوم بعد الحسوم) ولهذا السبب يتخذ الرحل اليوم إحتياطاتهم بمجاورة بعض السكنات المبنية ويطلبون النجدة من أهلها في حال حدوث طارئ جوي غير مرغوب فيه، فيتمكنون بذلك من حماية أغنامهم قي آخر المطاف، وخسائرهم إنما تكون طفيفة في آسوا الأحوال.

بعد مرور هذه الفترة العصيبة يعكف الرحل ويجتهدون في رعي أغنامهم والتجوال بها بين تلك المراعي المحدودة هنا وهناك حريصين أن تأكل وتستفيد قدر المستطاع من الأعشاب التي جادت بها الأرض. فإذا كان العام ممطرا كانت الأعشاب كثيفة وكان المرعى جيدا فتكتفي الأغنام وتشبع، رعيها المحدود، وبالنظر إلى إرتفاع أسعار هذه الأعلاف فإن الحال قد يسوء كثيرا بالنسبة لعبئ التكاليف التي تترتب عليهم وقد يؤدي ذلك إلى إهتلاك القطيع شيئا فشيئا فلا مفر من بيع الخروف الصغير لتأمين العلف لأمه:

[1] Ibid., p.343.

" إذا كانت الشاة تأكل بنها ربي يستر، نوليو نبيعو الخروف باش نشريو العلف لمو ،وو قادر خروف مايجيبلكش قنطار علف " (س.ك)

أما إذا وصل الحد إلى درجة بيع الشاة لتأمين العلف للشاة الأخرى فالوضع يصبح كارثيا:

" لاكان الشاة ولات تاكل ختها خلاص ما بقاش كسيبة، المرعى ناقص من جيهة وو لغلم طايحة فالسوق من جهة.. تبيع نعجة باش تشري قنطار علف، وو كون تكمل كيما هكذا ثلاث شهر راحت لكسيبة، نوليو نخدمو غير على السرعوفة[1] تاع لغلم " (س.ك).

وهكذا يصبح الوضع مرتبطا بشكل مباشر بعامل المناخ والذي يكتسب في هذه المناطق خصوصية تأثره بالهواء الساخن للصحراء في الصيف و التيارات الهوائية القطبية الجد باردة في الشتاء[2] و هذا التباين الحاد في درجات الحرارة بين الفصلين يحرم النباتات من الدفئ في الشتاء ومن الأمطار في فصل الصيف مما يجعل الظروف الملائمة لنمو الغطاء النباتي تتوفر فقط في فصلي الخريف و الربيع[3] لكن عدم الاستقرار في نسبة تساقط الأمطار قد يجعل من هذا العطاء هزيلا جدا في هذين الفصلين فقد تطول موجة البرد حتى الربيع كما قد تغمر موجة الحر كل فصل الخريف[4] و سنبين في الفصل الأخير كيف يلعب عدم إستقرار المناخ في المنطقة دورا حاسما في عملية الإنتاج الرعوي و الميكانزمات التي يفرضها هذا العامل على أهم السلوكيات الإقتصادية عند البدو الرحل .

ومنه نستخلص ان قدوم الرحل إلى لازرو يكون بعد ضمان مرور التقلبات الجوية التي يمكن أن تحصل في فصل الربيع خاصة خلال شهر مارس الذي يعرف بتساقط

[1] لسرعوفة هو القطيع قليل العدد من الغنم لا يتجاوز 50 رأسا.

[2] Marc Côte, Op. Cit., p.35.

[3] Ibid., p.39.

[4] Ibid., p.39.

الثلوج في هذه المنطقة، وهذا كي لا تتعرض أغنامهم إلى موجة برد فتاكة قد تؤدي إلى هلاكها، فالمعروف أن الشاة لا تتحمل درجات الحرارة الجد منخفضة، وللبدو الرحل كذلك حسابات يعرفونها جيدا بما تراكم لديهم من خبرة في معرفة أحوال الطقس في هذه الفترة من السنة.

الملحق رقم 11: خريطة الإنتاج الرعوي عند بدو الرحل (الرحلة الى التل)

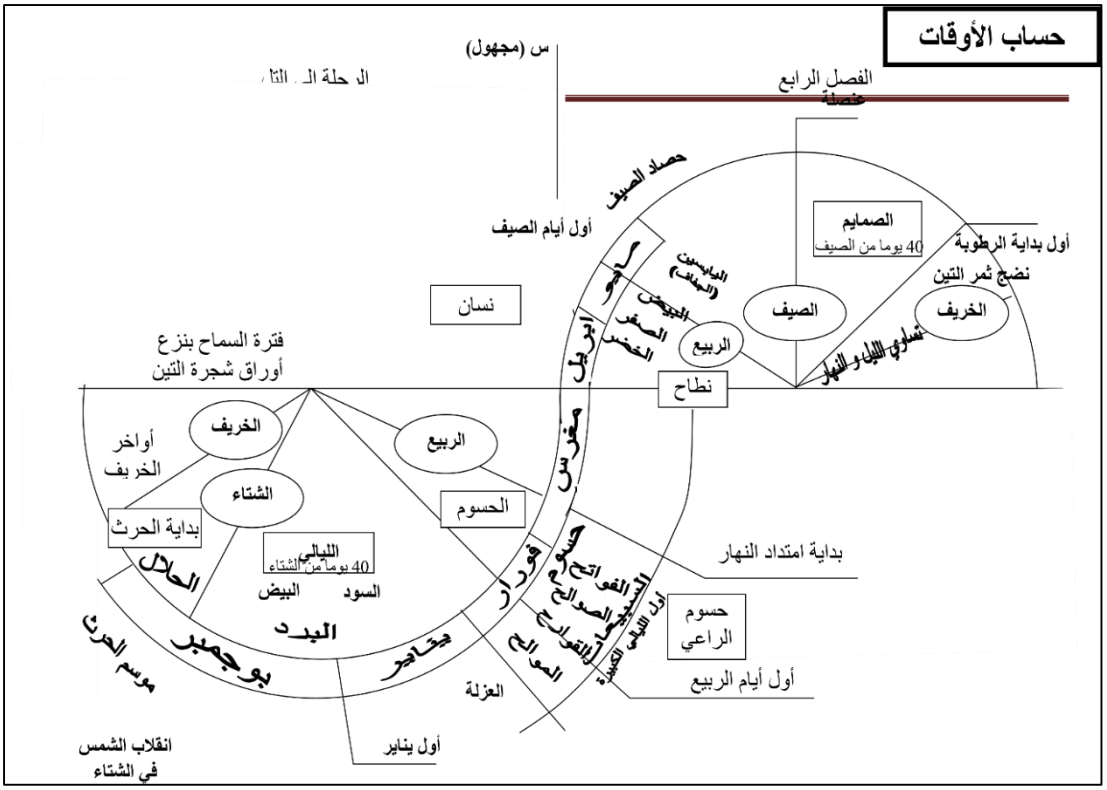

Source: Pierre bourdieu, Sens pratique, les Editions de minuit, Paris, 1980, P 339

4. محطة المقصودة للرحل في الصيف:

مع بداية موسم الحصاد يبدأ الرحل اتصالاتهم مع أصحاب الأراضي للتفاوض من أجل إستغلال الحصائد و كذا شراء كميات"البال"[1*] التي يقومون بنقلها في شاحناتهم إلى الجنوب بغرض تخزينها كإحتياط من العلف لأغنامهم أو إعادة بيعها في السوق بأثمان مضاعفة و لأن موسم الحصاد قد يتأخر قليلا عن عادته لأسباب كذلك مناخية

[1]البال: كلمة دارجة أصلها فرنسي BALLE وتعني حزم التبن المهيأة.

(عدم نضج القمح بسبب تأخر موجة الحرارة) فإننا تلمسنا قلق الرحل المفرط في الإسراع للتنقل إلى الجهة الجنوبية لمنطقة لازرو حيث تمتد أكثر من 3002هكتار من الأراضي المحصودة وهذا بسبب الحشرات الضارة التي تستيقظ في مثل هذا الوقت كالقراد و البرغوث وتزحف على الأغنام من الجبال و الغابات، هذا ناهيك عن إزدياد نسبة الرطوبة بتلك المناطق الأمر الذي يجعلهم يستعجلون بإبعادها في أسرع ما يمكن لحمايتها من الأمراض والأوبئة:

لغنم تاعنا مايش كيما غنم التلية، تاعنا لازم ماطولش في الساحل على خاطر ما تحملش الميديتي[1] وو كي يسخن الحال مليح يهجم عليها لقراد و البرغوث ورجليها تتورم من أرض الجبل اليابسة "(س.ك).

ومنه نستنتج ان المحطة المقصودة في صيف تكون بالتنقل إلى الجهة الجنوبية لمنطقة لازرو حيث تمتد أكثر من 3002هكتار من الأراضي المحصودة وهذا بسبب الحشرات الضارة التي تستيقظ في مثل هذا الوقت كالقراد والبرغوث وتزحف على الأغنام من الجبال والغابات، هذا ناهيك عن إزدياد نسبة الرطوبة بتلك المناطق.

5. إستراتجيات التفاوض:

يتفاوض الرحل مع مالك الحصيدة لتحديد ثمن الهكتار أو كما يسمونه " لقطار" الواحد ثم يضرب السعر في عدد الهكتارات المتوفرة و قد يتم استئجار هذه الحصائد بشكل جماعي أو فردي هذا يرجع فقط إلى شساعة تلك المراعي و كذا الثمن الذي اتفق عليه، وحتى و إن تم الكراء الجماعي فتقسيم هذه الأراضي لا مناص منه بينهم ثم يجري بعد ذلك تعيين مجال مرعى كل واحد منهم حسب قيمة المبلغ المدفوع من طرفه و كذا الإحتكام لرأي كبير الجماعة فحيث أشار عليه بالرعي يكون الأمر نافذا، ففي

[1] الميديتي: L'humidité، الرطوبة.

عرف الرحل لا ترد مشورة كبير القوم وطاعته واجبة وهم يرددون في تعليم أبنائهم هذه الآداب:

"*خوذ راي لكبير، لاما ربحتش تسلك على خيْرْ، دير الخير فالناس و كبير القوم طيعو* " (س.ك).

لكنهم بالرغم من تقسيمهم لهذه المراعي إلا أنهم عند نصب خيمهم يبقونها مجتمعة لدواع أمنية من جهة ولما يربطهم من صلة القرابة ورحم من جهة أخرى.

وعند التفاوض يلجأ الرحل إلى إستعمال وسائلهم المعرفية للتأثير على صاحب الحصيدة فهم بالرغم من إدراكهم أن بقايا مخلفات أغنامهم (البريو) سماد طبيعي جد نافع للأرض إلا أنهم لا يثيرون ذلك بشكل مباشر معه و يعمدون إلى استعمال معان توحي بنفس المعنى فهم يقولون مثلا:

" *هذي غنمنا تجيب معاها الخير*" أو " *لرض لي دور فيها لغنم تنزل فيها البراكة*" أو " *الشاة بارك فيها ربي و النبي*"

وهذا طبعا كي لا يستفزون الطرف المتفاوض معه لتكون تلك العبارات معان إيحائية وتذكير غير مباشر بالفوائد التي تنتج عن رعي الغنم لتلك الأرض يقول أحدهم:

"*على بالك الكاميو تاع لغبار وحدو إيدير زوز حتى ثلاث ملاين و أحنا هنا الله غالب لازم نسايسو*" (س.ك).

أصحاب الأراضي فقد استطعنا أن نلحظ موقفين جد متباينين فيما يخص كراء هذه الحصائد فملاك الأراضي الكبار ممن يحرصون على الفلاحة و يمارسونها بشكل دائم يسهلون الأمر في هذا الشأن لإدراكهم و تثمينهم أهمية رعي الغنم على أراضيهم وهذا لما تتركه فيها من منافع، فلا تتفاوت مطالبهم 4000 دج للهكتار الواحد أو يبرمون إتفاقا مع المرتحل بأن يضموا له عدد من رؤوس أغنامهم يقوم برعيها طيلة تواجده بالمكان فهذا " س، ك " من السوامع قام بضم 28 رأس لأحد الملاك إلى قطيعه مقابل استفادته

من رعي 15هكتارا طيلة فصل الصيف أما النوع الثاني فهم أغلب المستفيدين من أراضي التعاونيات الجماعية سابقا، هؤلاء يقومون باستئجار الأراضي كمراعي ربيعا و صيفا و هم يحرصون على جني أكبر استفادة ممكنة من ذلك فلا يهمهم في الغالب إن تنتفع الأرض من سماد طبيعي من مخلفات الأغنام أو لا بل يفرضون مقابل استغلال الهكتار الواحد 3000 دج أو أكثر، و في الربيع قد يصل ثمن كراء المرعى إلى أكثر من20000دج (مليوني سنتيم) خاصة إذا كانت الأعشاب غثة و الأمطار وفيرة و هذا النوع من أصحاب الأراضي والذين لا تتعدى استفادتهم أكثر من 20 هكتارا كثيرا ما يعزفون عن ممارسة فلاحة الأرض و يفضلون إستئجارها للرحل او سواهم من الفلاحين الكبار لكون مردودها يتفاوت من سنة إلى أخرى وقد يكون منعدما في سنوات الجفاف ناهيك عن المصاريف التي ينفقونها في هذه العملية لذلك فهم يفضلون كراءها بأغلى الأثمان الممكنة لزبائنهم، لهذه الأسباب يعمل الرحل جاهدين على ربط علاقات وطيدة مع ملاك الأراضي الكبار كي لا يضيعوا فرصة الاستفادة من مرعى الصيف وكذا إمكانية الحصول على عمل مأجور عند هذا المالك خلال عملية الحصاد وجمع المحاصيل دون التعرض لجشاعة أولئك المستفيدين الصغار.

و منه نستنتج ان للرحل استراتجيات خاصة مع مالك الحصيدة لتحديد ثمن الهكتار أو كما يسمونه " لقطار" الواحد ثم يضرب السعر في عدد الهكتارات المتوفرة و قد يتم استئجار هذه الحصائد بشكل جماعي أو فردي هذا يرجع فقط إلى شساعة تلك المراعي و كذا الثمن الذي اتفق عليه.

6. مناطق رعي البدو الرحل:

يبدأ رعي هذه الحقول بسياقة القطيع في الصباح الباكر إلى الجهة الغربية منه قبل الجهة الشرقية وهذا كي لا تقابل الغنم مطلع الشمس وضوئها الشيء الذي يمكن أن يؤثرا سلبا على مردودية إنجابها ونفس الشيء عند الغروب فالراعي يوجهها بعناية إلى الجهة الشرقية كي لا تقابل هبوطها لنفس السبب :

" لغنم باش تاوم لازم ما تقابلش الشمس خلاص في الصباح ولا في لعشية، ماهيش مليحة ليها، الصباح نغربو بيها وو يبقى الراعي سارح بيها وو يمشي حتى تولي الشمس في وسط السما ثمه يدورها و ولي راجع بيها، كي يوصل للبيت تكون الشمس مسات وو رعي الصيف طول من رعي الشتاء " (س.ك).

وقد أثبتت دراسات جد حديثة حقيقة تأثير الضوء وتغيراته على مدى إفراز هرموني التكاثر البروجستيرون والأوستروجين لدى الأغنام[1] حيث تم تعريض أربع مجموعات منها بعدد عشر نعاج وكبش واحد لكل عينة إلى ظروف مختلفة من عوامل الضوء المتغيرة كدرجة السطوع، عدد ساعات الاختبار، نوع الضوء المسلط وتعريضه بشكل مباشر أو غير مباشر على عين الشاة فجاءت النتائج تؤكد أهميه الضوء ودوره الأساسي في عملية الإخصاب وتوصي في نفس الوقت بعدم تعريض المواشي بشكل مباشر للضوء الباهر.[2]

كما أن الراعي الخبير العارف بأسرار الرعي يجب أن يعامل الشاة بحرص شديد وعلى غرار أحدث الطرق في تربية الحيوانات التي تنادي بأهمية تدليلها كي تعطينا أحسن النتائج يقول لك الراعي البسيط من البدو:

" الشاة خليها تقيل ما تقلقهاش، وكلها مليح وو شربها مليح، كون تخلعها ما تاومش"(س.ك).

[1] http://www.ovins.fsaa.ulaval.ca/projets_ovins Le 20/04/2022 à 11h 02min .

[2] المرجع السابق

أي أنها لن تلد خروفين في حالة عدم العناية بها بشكل جيد والظروف الملائمة فقط في رعيها هي الكفيلة بإعطاء نتائج حسنة عند ولادتها. وبشكل عجيب يجول الراعي وسط غنمه جولتين فيفصل نعاجها التي وضعت عن غيرها من القطيع كي يعيدها راع آخر إلى الزريبة بالقرب من الخيمة حيث يؤتى بالخراف حتى يتسنى لها رضاعة أمهاتها، و أما باقي القطيع فيساق عند العودة على أرض لينة فيثير سحابة من غبار تبدأ النعاج في العطاس الشديد على أثرها و الغاية من ذلك أن تستخرج الغنم من أنوفها كل الطفيليات والحشرات التي جمعتها حين رعيها و هذا أحد البياطرة (ب.م) يشرح لنا أهمية هذه العملية فيقول:

" إن هذا العطاس مهم جدا كي تتخلص الشاة من كل أنواع الطفيليات والبيضات وإلا صعد ذلك الطفيلي إلى أعلى جبهتها فيتكون دود بتلك المنطقة الحساسة يجعل الشاة تسلك سلوكات غريبة وهذا المرض يسمى بيطريا ب:Cénurose ويعرف في أوساط العامة بالجنون فيقال النعجة المجنونة".

هذه الإحترافية[1] التي نجدها عند الرحل إنما هي دلالة على خبرتهم الواسعة بمهنة الرعي وهي تتجسد أكثر في حراسة الشاة وإبعادها عن أي خطر ممكن، فالغنم مثلا عندما تبدأ في تحريك جسمها بعنف يعرف الراعي أن المطر قادمة لا ريب فيسارع بالعودة بها:

" إذا السعاية تنفضت راهو جاي لمطر، يزرب الراعي يدخل بيها باش ماتحكمهاش النو، وو كاينة نُوْ من نُوْ، كاينة لي تضر وو كاينة لي ماتضرش على حساب الشهر لي رانا فيه. " (س.ك).

أما موقع الراعي من الغنم فيكون دائما من الجهة المعاكسة لهبوب الريح لأن الذئب يأتيها من تلك الجهة وهو يتربص القرفصاء ولا يدع الفرصة إلا ونال من غريمه الراعي.

[1] حتى أنه يقال: أن الرعي في الجزائر للعربان والغراسة للقبائل.

" الذيب ديما إيجي تحت الريح باش ما تشموش لغنم والراعي لازم يوقفلو بينو وو بينها، والراعي تاع الصح إشم الذيب شمان.. ريحتو كيما ريحة العتروس وو ناتنا عليه شوية" (س.ك).

وفي حالة ضياعها ليلا فإن أمر تتبعها سهل على الرحل فهم يسيرون عكس هبوب النسيم ويصعدون المرتفعات لإيجادها:

"لغنم لكان طلقت تاع روحا تعطي وجها لنسمة و تهرب لذراع لجبل"(س.ك).

ومنه نستنتج ان للبدو الرحل استراتجيات وخبرة واسعة في عملية الرعي فهم لا يقابلون الغنم للشمس لا في خروج بها صباحا ولا مساءا وقد تم اثبات ذلك علميا كما أن الراعي الخبير العارف بأسرار الرعي يجب أن يعامل الشاة بحرص شديد وعلى غرار احدث الطرق في تربية الحيوانات التي تنادي بأهمية تدليلها كي تعطينا أحسن النتائج، كما انهم يعرفون التعامل مع امراض الغنم دون الحاجة الى طبيب بيطري.

7. فراسة الرحل وحذرهم:

للبدوي المرتحل كذلك فراسة ما بعدها فراسة فهو يميز شاته عن غيرها من الشياه بطريقة مشيها وأثر حوافرها على الأرض وهو قد يتعرف على سارق غنمه أو المار بالديار ليلا فقط بالإعتماد على آثار أقدامه ولتقديم برهان على صحة ذلك طلب منا أحدهم ترك آثار أقدامنا في مكان معين ثم قدم إليها وقال "هاذي تاعك وو هاذي تاعك" مشيرا إلى أثر كل منا وقد تكررت العملية دون أحذية فكانت النتيجة سواء ويروي لنا الرجل أن عمه عرف سارق بطيخته بعد مرور سبع سنوات عن ذلك، وروى لنا أنه في أحد الأعراس بينما كان يتناول الشاي رأى شخصا من أهل العريس وقد كان منهمكا في تقديم الطعام للضيوف فأيقن من طريقة مشيه أنه الفاعل فامسك ذراعه وهم به صارخا :

" ماجيتش جيهة لبلاد هاذي سبع سنين خليت البل[1] تاعك على جيهة ودخلت جناني نحيتلي الدلاعة لعزيزة [2] كليت ربعها وو طيشت الباقي وو تمشي وتكركر في رجليك، عندك سنة من تحت مكسرة وو سنة من الفوق مكانش ولا خلصولك من تكسار لعواد" [3] (س.ك).

فاندهش المعني من ذكر كل تلك التفاصيل وما كان منه إلا أن أقر بفعلته وطلب الصفح والتكفير عن ذنبه مقابل أن يطيب خاطر الضيف بما يشاء، ومما كان يحدث كذلك في الشعيبة أن السارق يسرق ليلا فيؤتى به صباحا إلى القاضي فيسال هذا الأخير كيف عرفتم أنه السارق فكانوا يخبرونه أنه ترك أثارا له بالمكان فلم يكن القاضي ليقتنع بتلك الحجة، فقرر ذات مرة أن يذهب بنفسه ليسرقهم ويجرب فراستهم المزعومة؛ وفي الغد لما حضر الضحية ومثل أمامه لتقديم شكواه إستحى أن يتهمه على الملإ، ولما أصر القاضي في معرفة الفاعل هذه المرة قال له الأعرابي:

" سارق نعجتي يقعد قعدتك ويحكم حكمك ويعدل عدلك وما يامرلي غير بخير منها "(س.ك)

فما كان من القاضي إلا أن إستسلم لفراسة الرجل؛ وهذه فطنة ونباهة يتميز بها الرحل عن غيرهم وقد أتى ابن خلدون على ذكر ذلك في مقدمته من إختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشا عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم[4] وقد نعت أهل البوادي بالفطنة وحدة الذكاء وأن أذهانهم أثقب في المعارف والمدارك، وهو يرجع ذلك إلى نوع غذائهم المقتصر على الألبان والتمور دون "أهل الأقاليم المخصبة

---

[1] البل: الإبل.

[2] الدلاعة لعزيزة: البطيخة التي تخصص لإستخلاص البذور.

[3] أي أنه كان يستعمل عودا في تنظيف أسنانه من بقايا اللحم.

[4] عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت ،2003، ص.96.

في العيش الكثيرة الزرع والضرع والآدم والفواكه يتصف أهلها غالبا بالبلادة في أذهانهم والخشونة في أجسامهم"[1].

كما يحذر الرحل أشد الحذر من الأغراب فهم شديدو المراس لا يخالطون من لا يجانسون وقد علمتهم التجارب وتمرس الحياة خبرة الناس ومعرفة طبائعهم فلا يأمنون جانب الغدر من أي أحد:

"*ما تامن ما دير لمان ، معريفة عام ماشي معريفة، كاين ناس عرفناهم حياتنا كاملة وو تخدعنا فيهم* "(س.ك).

و منه نستنتج ان للبدوي المرتحل كذلك فراسة ما بعدها فراسة فهو يميز شاته عن غيرها من الشياه بطريقة مشيها وأثر حوافرها على الأرض وهو قد يتعرف على سارق غنمه أو المار بالديار ليلا فقط بالإعتماد على آثار أقدامه.

8. سلالات الغنم عند البدو الرحل[2]:

لتحقيق قدرة إنتاجية جيدة للقطيع يعمل رحل اولاد رحمة والسوامع وأولاد عيسى على التحسين الدائم لسلالة قطعانهم إعتمادا على أنواع السلالات الأكثر إنتشارا في الجزائر والتي تتشكل أساسا من:

أ. سلالة أولاد جلال (La race ouled djelal)

هي السلالة البيضاء و الأكثر أهمية نظرا للياقتها البدنية وكذا قدرتها الإنتاجية العالية، نستطيع أن نميزها بسهولة عن باقي السلالات الأخرى بعلوها الواضح الذي يفوق المتر، جسمها الضخم، برأسها الكبيرة المميزة الخالية من الصوف وبأذنيها الطويلتين المفرطحة البعيدة عن عينيها إلى مؤخرة الرأس و تحمل زائدة يطلق عليها إسم "الفولة"، تتميز أيضا بذيل طويل و صوف ملساء قصيرة تسمى محليا "صوف قساسي" يزن الخروف عند

[1] المرجع السابق، ص.97.

[2] http:// fr.Maoudoa.com/ouled nail/liste_des_races_ovines Le 22/04/2022 à 13h 09m.

الولادة ثلاثة كيلوغرام ونصف ويبلغ في شهره الخامس أكثر من 30 كيلوغراما، نجد بهذه السلالة صنفين:

- صنف أعلى (variété haute) وهي المشاءة لها القدرة على المشي لمسافات طويلة.
- صنف أدنى (variété basse) وهذه تنشأ في المناطق الشبه صحراوية.

ب. **سلالة رامبي:(la race rembi)**

ناتجة عن السلالة البيضاء عن طريق طفرة أو تبدل وراثي وهي تحمل تقريبا نفس أوصاف السلالة الاولى مع هيئة جسدية أقل، رأس أشقر، قوائم و هيكل قوي جدا، خروف هذه السلالة يزن عند الولادة 5.3 كيلوغراما وفي الشهر الخامس يصل من25 الى 30 كيلوغراما.

ت. **سلالة حمرة(la race hamra ben Ighil):**

وهي تحتل المركز الثاني من حيث الأهمية، تتميز بمقاومتها العالية لكنها في تراجع مستمر بسبب خصائصها الجسمية غير المرغوب فيها مقارنة مع السلالة البيضاء وهي تنتشر بشكل أكبر بغرب البلاد، يزن خروفها عند ولادته 5.2 كيلو غراما و يبلغ 25 كيلو غراما في شهره الخامس.

ث. **سلالة تادمايت(la race tadmaat):**

وهي عبارة عن تهجين بين المينيروس Le ménéros وسلالة الحمرة و هي سلالة خصبة جدا كونها تستطيع وضع أربع خراف في السنة (توأمين كل مرة) كما تتميز كذلك بصوفها عالي الجودة ذي الألياف الطويلة.

ومنه نستنتج ان البدو يحسنون القدرة الانتاجية للقطيع بالتحسين الدائم لسلالة قطعانهم إعتمادا على أنواع السلالات الأكثر إنتشارا في الجزائر والمذكرة سلفا واحسن السلالات سلالة اولاد جلال.

9. مصطلح الشتلة عند البدو الرحل:

لا يقسم الرحل السلالات سابقة الذكر بنفس الشكل بل يطلقون عليها اسم المناطق التي تعيش فيها فأما ما لديهم من قطعان فيطلقون عليها اسم الشاة العربية والتي تعيش في التل فيسمونها "التلية" والشاة التي موطنها الجبال فيسمونها الجبايلية أو القبائلية.

الإختلاف بين هذه السلالات واضح من حيث الشكل و اللون و كذا درجة تأقلمها و تحملها لمناخ دون آخر و يقوم الرحل بعد عملية التهجين المستمر بين بعض من هذه السلالات بانتقاء أحسن الغنم التي يجدون لها مواصفات جيدة من حيث الوزن، القدرة على الولادة، تحمل الجوع والعطش، التأقلم مع المناخ و القدرة على المشي.

أحنا ديما نشتلو، المليحة نحكموها والهينة نبيعوها، النعجة لازم تكون عندها وقفة مليحة، كاملة، تاوم وتلاوي التمرميد" (س.ك).

وهذه العمليات الانتقائية تتناسب مع التقنيات الحديثة التي تعتمدها أساليب الانتاج الرعوي الحديث، فلقد أدت هذه التحسينات المستمرة إلى اكتساب الرحل قطعان غنم ممتازة وهم يشتهرون بذلك حيث يسعى بعض من مربي المواشي من القرويين إلى امتلاك هذه الأغنام و هم يقولون في ذلك *" النعجة لمليحة عند العربان"*.

لم يعد القطيع عند الرحل كسابق عهده يعتمد فقط على نواة إنتاجية ثابتة بل أصبحت هذه النواة (الأساسية) تعرف تجديدا مستمرا حيث يتم التخلص من الشاة التي فاق استغلالها أكثر من خمس سنوات و هذا كي يحافظ القطيع على قدرة إنتاجية جيدة[1].

في القديم كان الراحل لا يحبذ بيع شاته التي شكلت قطيعه الأول لأنها كانت تمثل بالنسبة له الخصوبة و الفأل الحسن و البركة و كان ينظر لها بعين التقديس وهذا أحد الرحل (س.ك) يخبرنا بأن والده كان لا يبيع أول قطيع امتلكه أبدا :

[1] Jules Cambon, Op.Cit. , p.11.

"كان الحاج ربي يرحمو النعجة لي يكسبها لولى تشرف وو ما يبيعهاش خلاص، كان ايقولنا هذ النعجة ربحت عليها وو بمال الدنيا ما نبيعهاش"

لكن هذه الطريقة زالت اليوم وأصبح الرحل يجددون قطعانهم بشكل آلي حيث يبقون دائما على الشاة الجيدة ضمن القطيع الأساسي.

ومنه نستنتج ان الرحل بعد عملية التهجين المستمر بين بعض من هذه السلالات بانتقاء أحسن الغنم التي يجدون لها مواصفات جيدة من حيث الوزن، القدرة على الولادة، تحمل الجوع والعطش، التأقلم مع المناخ والقدرة على المشي.

هذه العمليات الانتقائية تتناسب مع التقنيات الحديثة التي تعتمدها أساليب الانتاج الرعوي الحديث، فلقد أدت هذه التحسينات المستمرة إلى اكتساب الرحل قطعان غنم ممتازة وهم يشتهرون بذلك.

10. عملية اختيار الفحل وتلقيح وتخصيب الشاة:

أصبح كذلك وجود الفحل داخل القطيع لهـ موازنات دقيقة حيث لا يحتفظ إلا بفحلين لكل عشرين شاة بالنسبة لغنم الصحراء و واحد لكل 40 شاة لغنم التل وعلى العموم يكون متوسط عدد الفحول في القطيع بين 5 إلى 6 في 100 شاة ويكون لهذا الفحل كذلك مواصفات دقيقة جدا يجب مراعاتها حيث يفترض أن يكون طويلا ، لهـ ذيل طويل، صوفهـ ليست غثة (صوف قساسي) ، لهـ رقبة كاملة ، قوائم طويلة، بطن مرتفعة، رأس كبيرة و لا يوجد بها شعر و من الأفضل ألا يكون لهـ قرنان و إن وجدت فمن الأفضل ألا تتجهـ هذه القرون إلى الأعلى بل تتجهـ إلى عينيهـ و يحرص الرحل كذلك على اختيار هذا الفحل من حالات الولادات الثنائية *"الفحل لمليح من أم تاوم"* أي أنهـ من شاة تلد خروفين على الدوام وهم يعتمدون على هذه المواصفات لتحسين سلالة غنمهم *"الفحل هو لي يعدل الشتلة"* و لأهميتهـ في القطيع و دوره الحيوي فيهـ يقول لك الرحل "

البركة في الفحل" و هم يتشاءمون أيما تشاؤم عندما تشير إليه داخل القطيع أو تبدي إعجابا به و قد يتخذ منك موقفا لا تحمد عقباه إذا أظهرت نية في شرائه[1].

عملية تخصيب والالقاح:

بالموازاة يعمل الرحل ويحرصون كل الحرص على توفير الظروف الجيدة لعملية الالقاح والتخصيب في قطعانهم لكي يكون المنتوج جيدا، لكنهم يعترفون في نفس الوقت بعدم قدرتهم الكاملة في التحكم في كل ما يعرفونه وكل ما يريدونه بسبب ما يفتقده نمطهم الإنتاجي من وسائل تطبيقية وعملية لتنفيذ كل أهدافهم، فالشاة مثلا يحبذ أن أن تخصب قبل أن تجز صوفها أول مرة

"*الرخلة إذا ولدت تحت الصوف مايش مليحة*"(س.ك)

أي يجب أن تستكمل الشاة عاما كاملا كيتكون ولادتها بعد ذلك جيدة وتستطيع الإستمرار في الإنتاج بشكل متواصل، لكن الرحل لايستطيعون التحكم في ذلك فكثيرا ما تلقح الشاة قبل أن تجز بسبب عدم القدرة على عزل الفحل عن القطيع ووجود الرعي المشترك، الأمر الذي يسبب في كل الأحوال تخصيبا مبكرا فتسمى النعجة حينئذ بالمظلومة وتستدعي رعاية خاصة لها من توفير للدفئ والعلف[2].

ومنه نستنتج ان عملية اختيار الفحل هي العملية الرئيسية التي تقوم عليها عملية الرعي فإختيار الفحل يحدد طبيعة المنتوج الذي سينشأ بعد ولادة الشاة.

11. العلف والمكملات الغذائية:

لم يعد القطيع كما في الماضي ينمو بشكل طبيعي إعتمادا على ما توفره حركية الرحل من كلإ لهذه المواشي و حسب بل أصبح من الضروري اليوم أن يوفر لها الراحل العلف الاصطناعي خاصة إذا شحت السماء ونقصت المراعي:

"*بكري الشاة تأكل منها واليوم ولينا نعلفو*" (س.ك).

[1] Ibid.p12
[2] Ibid.p15

وهذه الضرورة للعلف لا تأتي فقط لحماية القطيع من نقص الكلأ إنما أيضا تأتي كضرورة يفرضها منطق السوق فإذا أراد الراحل أن يبيع شاة فعليه أن يعلفها عدة أيام كي يسمنها بأعلاف اصطناعية ثم يقدمها للبيع:

" *لازم نسمنو باش يجيبنا السومة* "(س.ك).

لذلك فإن لوازم تقديم الأعلاف للمواشي لا تكاد تغادر مشهد أي بيت من بيوتات الرحل و هي عبارة عن أحواض معدنية يطلقون عليها اسم ماجوارات[1]، تتراوح أبعادها بين متر و نصف طولا إلى مترين و 25 إلى 40 سم عرضا بعمق 20 سم على الغالب و هي إما أن تشترى جاهزة أو تجهز للراحل حسب طلبه بمقاييسه الشخصية **(أنظر الملحق رقم:12)**، و تقدم الأعلاف التي تكون في معظم الأحيان مركبا من الشعير و نخالة أو مستورة (ذرى) و نخالة إلى الأغنام بمعدل 1 كغ في اليوم للشاة الواحدة إذا لم تكن تشبع من المرعى كدعم إضافي لها أما إذا كان المرعى غير متوفر على الإطلاق فإن معدل هذا العلف يزيد إلى 5 أضعاف في اليوم و يرجع الرحل الكثير من الأمراض التي تصيب الأغنام إلى طبيعة هذه الأعلاف:

" *بكري كيكانت النعجة ترعى برا كان ماكانش المرض هذا وو ضرك مع العلف هذا ظهرت امراض جامي سمعنا بيها، الشاة كانت تاكل الحشيشة شبعة وو دوا* "(س.ك).

ومع ظهور الكثير من الأمراض[2] المجهولة إستعصت الطرق التقليدية في مداواتها، أصبح الرحل يلجؤون بشكل دائم و دوري إلى البيطري لتأمين الأدوية والفحوصات المفروضة في كثير من الأحيان ليتمكنوا من حيازة رخص التنقل من جهة إلى جهة أخرى حتى تضمن السلطات عدم تنقل الأمراض المعدية و محاصرتها.

[1] و هي تكييف لأصل التسمية بالفرنسة (Mangeoire).

[2] يعرف الراحل مرض شاته عندما تغير سلوكها إذ تصبح أكثر كسلا وخمولا و تتخلف عن القطيع أثناء سيره.

تعدى أثر هذه الأعلاف كذلك ليمس طبيعة لحم المواشي في حد ذاتها فهي لم تعد كذلك طبيعية والفرق شاسع بين لحم الشاة التي تتغذى بالأعشاب الطبيعية كالحلفة والشيح وتلك التي تأكل الأعلاف الإصطناعية:

" *ضرك تاكل لحم الشاة اللي تعلف كلي راك توكل فالكارطون*"(س.ك).

وتبقى بعض المناطق التي تشهد بمحافظتها على التغذية الطبيعية وتستقطب طالبي النكهة والذواقين إلى درجة أن الكثيرين يتنقلون مسافات طويلة فقط ليتناولوا قطعة لحم مشوية لشاة لم تأكل الأعلاف المسمومة.

ومنه نستنتج ان العلف والمكملات الغذائية حديثا او في الاونة الاخيرة اصبحت من الامور الاساسية في عملية الرعي لكن لهذه المكملات الغذائية اثار سلبية على منتوج الغنم سواءا من ناحية منتوج الغذائي(اللحم) او من ناحية الخرفان، كما ان العلف ايضا أصبح من أحد الاسباب التي تمرض الغنم بالامراض الحديثة المنتشرة؟

جدول رقم (02) : أهم أمراض الأغنام المنتشرة و المعروفة عند البدو الرحل

أمراض الأغنام المعروفة عنـد البدو الرحـل	الـدواء التقليـدي	المـرض باللغة اللاتينـية	التـداوي البيطـري
الجدري	عشبة القزايح	x ِ	Vaccin anti-claveleu
الصفاير	يعصر (فقوس لحمير) و	e Clavelée	Traitement chimiqu
الرية	يقطر في أذن الشاة و أنفها	e Piroplasmose	Des antibiotique
المرارة	أوراق التبغ	u Pneumonie	Vaccin anti entérotoxémiqu
بوصوفة	اللبن الحامض+ المريوت	e Entérotoxemie	Sulfate de cuivre o
الكلب	يشق مكان التعفن بآلة حادة	e Piétin	bien formole à 10%
الجنون	أوراق الدرفلة	x La rage	Vaccin antirabiqu
بولسان	شق الأذن بآلة حادة حتى	e Cénurose	Abattag
(الحمى القلاعية)	يسيل الدم الأسود.الشب +	e Fièvre aphteuse	Vaccin anti-aphteu
النقر	قشرة الرمان	e Œstrus-ovis	Antiparasitaire intern
الجرب	الزفت أو القطران	e La gale	Antiparasitair extern Abattag
بولسان لزرق	زيت المحرك	e Fièvre catarrhales	Antispasmodiqu
الوجع و المغص	الشب + قشرة الرمان	Multiple	Pas de traitemen
الطاعون	يربط ذيل الشاة بخيط أحمر	La peste ovine	
	لا دواء لهـ		

12. حيوانات الترحال الإضافية:

بالإضافة إلى ما ترتكز عليهـ حياة الترحال من تربية للغنم والماعز بشكل رئيسي نجد بعض الحيوانات الأخرى تستكمل منطق الاقتصاد الرعوي التقليدي وتساعد الرحل على تخطي صعوبات الحياة اليومية من جميع النواحي كأداة مهمة الحراسة بالنسبة للكلاب و حمل الأثقال و نقل المتاع بالنسبة للحمار وحيوانات أخرى قد نجدها أيضا يستفيدون من خدماتها كالأرانب والدجاج ولإن كان دور بعض الحيوانات قد تراجع مع

تطور الحياة و ظهور وسائل عصرية كما هو الشأن بالنسبة للجمل والحصان فإن حياة الترحال لا تزال تستأثر بخدمات الحيوانات الأخرى حتى أنها لا تكاد تستغني عنها أبدا.

أ. **الماعز في القطيع:**

يلعب الماعز دورا أساسيا في حلقة الانتاج الرعوي التقليدي فبالإضافة إلى استعمالهِ الطبيعي في قيادة القطيع (**أنظر الملحق رقم: 13**)، فإن تربية الماعز كذلك تشكل إحدى الإستراتيجيات المهمة التي يعتمد عليها الراحل كي يحافظ على منظومتهِ القيمية والتقليدية بالإضافة إلى استهلاك لحمهِ بشكل دائم فإن الرحل يعمدون إلى ذبحة لإكرام ضيفهم دلالة على الفرح بقدومهِ و حسنا لضيافته:

" أحنا الضيف لازم نذبحولو، منين إجيك الضيف راهو جاب خيرو معاه، اللي يامن بربي ووالنبي يكرم ضيفو" (س.ك).

وهذا السلوك أي الذبح مع ما يحمله من رمزية عالية لشيم الجود و الكرم يرمي أيضا إلى تحقيق غاية أخرى و هي الحفاظ على الغنم:

"المعيز ينهر على الغنم وو غطيلك وجهك قدام الناس "(س.ك).

أي بذبح الماعز الذي هو أكثر خصوبة من الغنم إذ تستطيع الجدية أن تلد عند بلوغها ستة أشهر فقط[1] وهذا مع وضع جديين في العادة فيكون الراحل بذلك قد وفر الخوف الذي هو أغلى قيمة مع أداء فريضة إكرام الضيف الذي هو في عين العرب من أعظم الواجبات.

يربي الرحل نوعا محليا من الماعز يتميز بجسم طويل مزوى و قوام جيد، لها قرون مفلطحة عادة ما تلتف إلى وراء أذنيها وهي متباعدة بالنسبة للنوع الهجين الموجود

[1] أضف إلى هذا فان الراحل لا يكلفهِ الماعز أبدا عناء مداواتهِ عند البيطري "المعيز ما يمرضش خلاص ولا مرض، مات".

بالجزائر الذي يحمل قرونا مدببة متجانسة[12] و متقاربة كما أن لها أيضا (أي النوع المحلي) ضرعين كبيرتين تدران لترا من الحليب كل يوم لفترة قد تصل إلى خمسة أشهر بعد الولادة يستغل الجزء الأكبر منه للاستهلاك العائلي وهو ذو قيمة غذائية عالية حتى أنه يعطى للطفل بعد فطامه مباشرة فيكون بديلا عن حليب أمه، و يتميز كذلك هذا الماعز بشعر طويل يتدلى يجعله يبدو و كأنه مستطيل الشكل، له ألوان مختلفة يستعمل الأحمر منه بعد خلطه مع وبر الإبل في حياكة الخيمة و صناعة القشابية و البرنوس، يتأقلم هذا الحيوان بشكل جيد في المناطق الشبه صحراوية، الجبال و الأماكن الصخرية لأنه يتمتع بأظافر صلبة و قوائم قوية، يستعمل الرحل جلده كقرب للماء و أيضا كحافظات للمواد الغذائية (للدقيق فيسمى "مزود" و للغرس فيسمى" بطانة") يزن جديها كيلوغرامين و نصف الكيلوغرام عند الولادة و يصل إلى خمسة وعشرون كيلوغراما بعد الشهر الخامس، و لأن الماعز يتمتع بحاسة شم قوية جدا فإن الرحل يستعملونه كمنبه للقطيع[3] من أي خطر يحدق به خاصة من خطر الحيوانات المفترسة كالذئب، و في الليل عندما يسمع الراحل صوت الماعز يعلو فإنــه يعرف أن هناك خطبا ما لأن الغنم عــادة في اللـيل لا يسمع ثغــاؤها و لأن سارقو المواشي من المحترفين يعلمون أن الماعز قد يفضح أمرهم فأنهم يلجئون إلى رشه بالماءكي يبرد و يتجمع في مكان واحد ويصمت فيتمكنوا بعد ذلك من أخذ باقي القطيع.

[1] http://ressources.ciheam.org/com Le 15-04-2022 à 20h 2m

[2] هذا النوع هو نتاج السلالة المحلية مع السلالة الألبية، له شعر قصير، قرونه وقوامه تشبه الغزال ، يغلب على هذا النوع اللون الأحمر وهو كذلك رشيق وسريع .

[3] كما يعتقد الرحل أيضا أن العنزة السوداء تحفظ القطيع من عين الحسود.

ب. **الكلاب:**

يمتلك رحل اولاد رحمة والسوامع وأولاد عيسى نوعين من الكلاب، الأولى تسمى السلوقي و الثانية تسمى البتي[1] **(أنظر الصورة رقم:14، المشهد الأول)**، تستعمل هذه الكلاب في حراسة الخيمة ليلا و نهارا، و يمكن للراحل أن يترك عائلته وأولاده ليتنقل إلى المدينة أو إلى أي مكان آخر بكل راحة و طمأنينة معتمدا في حمايتهم و أمنهم على كلابه الأمينة الوفية، و هم يقولون في ذلك "*الكلب خوك بلا وصاية*" أي أنك يمكن أن توصي أخاك ليقوم على حماية عائلتك لكن كلبك لا داعي لأن توصيه في ذلك، فهو يقوم بعمله على أحسن وجه.

وتعمل هذه الكلاب أيضا على حراسة القطيع، فالكلب يصحب الراعي مع غنمه إلى أماكن بعيدة يؤنس وحدته ويحفظ الشاة من أي خطر ولا يترك قاسية إلا أعادها حيث مأمنها، أما في الليل فيعرف الرحل إن كان كلبهم ينبح على حيوان أو إنسان:

"*الكلب كي عود ينبح على الحلوف زي، و كي عود ينبح على الذيب زي وو كي عود ينبح على العبد زيا خر*"(س.ك)

وقد يطارد الراحل سارق قطيعه بكلبه في الظلام الحالك وينال منه و هذا أحدهم يقول لنا:

"*أنا نضرب البارودة على رأس الكلب في الليل نطيح السارق*"(س.ك)

وهذا لما يتمتع به الكلب من رؤية جيدة في الظلام يستغلها البدوي لتوجيه سلاحه نحو طريدته، ويربي الرحل النوعين معا من الكلاب السلوقي[2] و البتي لكون الأول سريع جدا يلحق بطريدته بسهولة أما الثاني فهو قوي يفتك بها فتكا:

[1] يطلق أيضا على هذا النوع الهجين(خليط بين الكلب العربي وسلوقي) إسم الحرفوش.

[2] يعطى لهذا الكلب عندما يكون جروا الطعام المالح كي يدفعونه على الشرب كثيرا مما يؤهله فيما بعد على الجري والتحمل كما تكوى رجلاه عند المفاصل كي لا يصيبها الاعوجاج لأنها تنمو و تزداد طولا بسرعة.

"السلوقي يقدر يلحق الذيب ويجيبو، يعطلو ، البتي باسل، بصح قاوي كي يلحق لذيب يحكمو من مسلانو و يقلبو مرة وحدة افلعصو" (س.ك)

وهم يستمتعون أيما استمتاع عندما يتجهون إلى صيد الذئب[1] حيث تتعالى الأصوات حول كلب السلوقي الذي ينطلق كالبرق في مطاردة الذئب و هم عادة ما ينادونه بـ "لزرق " أو " الواعر" وقد يتعرض الكلب الذي يخفق في مهمته للسب و الشتم إهانة له، فهم يكلمونه كأنهم يكلمون إنسانا لكن السلوقي يبقى في كل الأحوال الند الوحيد للذئب:

" الي قاريه الذيب حافظو السلوقي، الذيب واعر وو حيال، ما يامنش حتى ولو يكون وحدو، يمشي فالجبل وي دور وراه، بصح كل آفة وو دارلها ربي دوا ، و الذيب قد ما يدير يمرقلو السلوقي " (س.ك)

ويسعى الراحل كذلك إلى امتلاك الكلب العربي الحر:

" الكلب العربي تلقاه بيض وعندو شعرة طويلة، الكلب الحر تهدر معاه يفهم وو كون تحاوزو مايوليش"(س.ك).

وهو محبذ بلونه الأبيض لأنه لا يظهر وسط الغنم كما لا يستبان في الليل لأنه يتموه مع لون أرض الصحراء وخلال الأيام المقمرة **(أنظر الملحق رقم : 14، المشهد الثاني)** أما الكلب الأسود فهو مستنكر ويتعوذ الراحل عند رؤيته لأنه يعتقد أن الشيطان يستطيع أن يتمثل صورته.

ت. **الحمار:**

لقد أخذت أهمية الحمار تزداد شيئا فشيئا عند البدو الرحل و هذا بعد تراجع دور الحصان في حياتهم فمنهم من كان لا يعرفه إطلاقا كما هو الحال بالنسبة لرحل ورقلة إلا بعد سنة 1896 حيث بدأت وسائل النقل ذات المحرك تفرض نفسها[2] و لا يستعمل

[1] يعرف الذئب الذي يصعب صيده باستعمال الكلاب بأنه "ذيب فردي" أي الذئب الذي ولد وحيدا الشيء الذي يجعله ينمو قوي البنية لأنه يستأثر بكل الطعام عندما يكون جروا.

[2] يعرف الذئب الذي يصعب صيده باستعمال الكلاب بأنه "ذيب فردي" أي الذئب الذي ولد وحيدا الشيء الذي يجعله ينمو قوي البنية لأنه يستأثر بكل الطعام عندما يكون جروا.

الحمار عند رحل اولاد رحمة والسوامع و أولاد عيسى اليوم إلا لجلب الماء الشروب و التنقل على ظهره لمسافات بسيطة **(أنظر الملحق رقم:15)**، وهذا عكس الماضي أين كانوا يستعملونه أيضا لحمل الراحلة و التسوق إلى الأسواق البعيدة جدا.

لقد أصبح الحمار اليوم جد ضروري بالنسبة للرحل فلا تخلو خيمة من خيمهم من وجوده و هو سهل للنقل في الشاحنة مع باقي الراحلة و القطيع كما لا يكلف امتلاكه من طرف الراحل الشيء الكثير من حيث علفه و القيام بشؤونه ويستغل الراحل أيضاحاسة الحمار الشديدة لاستشعار الخطر في مراقبة محيطه و الحيطة من كل شر و هو عندما تنتصب أذنيه يعلم صاحبه أن الأمور ليست على ما يرام.

ث. **الأرانب:**

تعود تربية الأرانب من طرف الرحل إلى أمد قريب جدا و هم يخصصون لها قيطونا صغيرا تأوي إليه و يعطونها بقايا خبزهم اليابس و يستعملون لحمها في طهيهم كي تضفي عليه شهية ونكهة خاصة،، لكن الكثير منهم يعزف بعد مدة عن تربيتها لأنها في رأيهم تجلب الأفاعي لخيمهم و هي في كل الأحوال حيوان يستوجب رعاية و عناية خاصة و يصعب عند الرحل جمعها حين الرحيل لأنها تتخذ جحورا تحفرها في الأرض.

ج. **الدجاج:**

تهتم المرأة عند الرحل بشكل خاص بتربية الدجاج فهي تقدم لها غذاءها بشكل منتظم وتحرص على جمع بيضها كما تعد لها خما وتختار لها بيضها الملقح بعناية كي تحضنه، ويلعب الدجاج دورا هاما في حماية محيط الخيمة[1] من خطر الأفاعي و العقارب و باقي الحشرات الضارة وتعرف المرأة بشكل خاص هذا الخطر و تميزه عندما يعلو صوت الدجاج **(انظر الملحق رقم:16)**.

[1] يستعمل الرحل كذلك مادة القطران لحماية محيط الخيمة من الحشرات الضارة كما يستعملونه لتعقيم الماء وللتداوي من بعض الأمراض، القطران عبارة عن مادة سوداء تستخلص بعد حرق أغصان وأوراق أشجار الصنوبر والعرعر.

ح. **الجمـل:**

لقد أصبح من النادر اليوم أن يرى الجمل في التل بعد ما كان إلى عهد ليس ببعيد يشكل مشهدا عاديا من مشاهد تواجد الرحل بهذه المناطق و لكن و لأسباب عديدة و متشعبة بدأ استعمال هذا الحيوان في التنقل والترحال يأفل شيئا فشيئا حتى أصبح اليوم ينحصر تواجده فقط في أقاصي الجنوب كثروة حيوانية هي أيضا مهددة بالزوال **(الملحق رقم: 17).**

إستعمل اولاد رحمة وأولاد عيسى والسوامع الجمل لحمل ترحالهم و بضاعتهم من الجنوب إلى الشمال لأزمان طويلة جدا تمتد إلى ذلك العهد الذي كانت فيه تجارة القوافل تسيطر على شرايين الحركـة الاقتصادية في المغرب العربي و لكن بعد الأزمة العامة التي مست هذه المنطقة ابتداء من 1350م إلى ظهور الطرق البحرية في المحيط الأطلنطي خلال القرن الخامس عشر[1] بدأت نقطة بداية نهاية هذا الحيوان الأسطوري الذي صنع تاريخ الرحل و أمجادهم عبر الصحاري الواسعة لقرون طويلة.

لا يزال الرحل ممن أجرينا معهم هذه الدراسة يذكرون آخر عهد لهم في استعمال هذا الحيوان اثناء ترحالهم و هذا أحد الشيوخ يروي لنا قصة آخر جمالـه التي باعها كي يشتري شاحنة سنة 1982م:

" *هذاك الوقت كنت أنا واحد من الناس لخرين لـي كسبو الجمل، الناس كل دارت الكاميو، الجمل خلاص ما بقاش*"(س.ك).

و يرجع أول استعمال فعلي للشاحنة من طرف الرحل إلى الخمسينات من القرن الماضي حيث اكتشف هؤلاء مزايا النقل في الشاحنة و إمكانية التنقل بشكل سريع، مريح و بأقل التكاليف إلى أماكن بعيدة تتوفر فيها ظروف الحياة الملائمة مع إمكانية حمل

[1] Hassan Remaoun et Autres, L'Algérie, histoire, société et culture, Casbah, Alger, L'an 2000, p.25.

القطيع و المتاع و الأهل معا وهكذا بدأ الجمل يشكل عبئا على مستعمليه (خاصة رعاة الشاة منهم)، و يقدم لنا حسان رشيق في دراسة قدمها حول بني قيل ? Comment rester les nomade كيف تخلى هؤلاء عن خدمات الجمل لأسباب كان أهمها الجفاف و تبني النقل الحديث [1].

خ. **الحصان:**

ان للحصان مكانة وجدانية جد خاصة عند البدو الرحل فهم يتباهون بها ويعتبرونها رمزا من رموز العروبة والفروسية وهم كذلك اعلم الناس بالخيل وأحوالها، يعرفون أنسابها كما يعرفون أنسابهم[2] فأفضل الخيول على الإطلاق كما يورد الأمير عبد القادر في رسالة منه إلى دوماس بتاريخ 8 تشرين الثاني –نوفمبر– 1851م هي خيول هميان دون استثناء " فكل خيولهم ممتازة، إنهم لا يستخدمونها لا للتفلاحة ولا للحمل، إنما للجري الطويل والقتال، وهـــي أفضل الخيول في تحمل الجوع والعطش و التعب وبعد خيول هميان تأتي خيول هرار، والأربعاء وأولاد نايل"[3]وللحصان العربي القدرة على الجري المستمر من 5 إلى 6 ساعات دون انقطاع معالسير طيلة 20 إلى 25 يوما . كما أن خبرتهم بها تذهب إلى ابعد الحدود فهم يعرفون ما ينفعها وما يضرها فسقاية الحصان مع طلوع الشمس تضعفه و سقايته في المساء تسمنه وسقايته وسط النهار تحافظ عليه في حالة جيدة، أما أفضل الأوقات لعلفه بالشعير فهي المساء ويقال بهذا الخصوص ان شعير الصباح يذهب إلى المزابل و شعير المساء يذهب إلى الكفلين وان كان أحسن العلف للحصان هو الشعير على الإطلاق فان الحلفاء كذلك تساعده على السير وأما

[1] Hassan Rachik, Comment rester nomade, Afrique-orient, Casablanca, En 2000, p.123.

[2] Hassan Remaoun et Autres, L'Algérie, histoire, société et culture, Casbah, Alger, L'an 2000, p.25.

[3] .صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي، ج1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،2005، ص67.

الشيح فتهيؤه للقتال[1]ويقول لك الخيال المتمرس انك لن تغدو فارسا إلا إذا كبوت أكثر من مرة واعلم أن الخيول الأصيلة لا تمكر بصاحبها والجواد الأصيلة في المربط شرف لصاحبها .

و منه نستنتج ان البدو الرحل لا يربون المواشي فقط فهم يربون حيوانات اخرى لغرض الحماية و الحراسة او حتى ليتغذون عليها.

12.1.2. تقسيم العمل:

يتشكل مجتمع الرحل من خلايا عائلية هي في نفس الوقت عبارة عن وحدات إنتاجية تؤمن للفرد الحماية الاجتماعية والاقتصادية، لا يعرف الرحل مصطلحا يسمى البطالة فلكل فرد مكانته ومهامه التي يضطلع بها وفقا لمعياري الجنس و العمر، و لأن تقسيم العمل في هذا المجتمع يتميز ببساطته و محدودية التخصص فيه فإن ذلك يجعل من تلك الوحدات العائلية تتشابه تشابها يكاد يكون مطلقا وهذا ما يدفعنا إلى تصنيفها وفقا للنموذج الدوركايمي الذي يصف مثل هذه المجتمعات بالبسيطة و المتجانسة نتيجة لضعف تقسيم العمل فيها إلى درجة كبيرة[2] و تعرف هذه المجتمعات ما يطلق عليه دوركايم التضامن الميكانيكي حيث لا يختلف الأفراد فيها كثيرا بعضهم عن بعض و هم يتشابهون لأنهم يشعرون بنفس الأحاسيس و يتقاسمون نفس القيم كما أنهم يؤمنون بنفس المقدس[3] الذي يجعل من هذه المجتمعات أكثر تماسكا و نلمس ذلك بشكل خاص فيما إذا تعرض أحد أفراد هذا المجتمع إلى خطر ما و إذا تعلق الأمر بنزاع مع قوم غير أفراد القبيلة فإن اللحمة تكون أكبر و العصبية أشد لنصرة الأخ أو ابن العم و

[1] Raymond Aron, Les étapes de la pensée sociologique, Edition Gallimard, Paris, 1967, p.312.

[2] Henri Mendras, Op. Cit., p.128.

[3] Raymond Aron, Les étapes de la pensée sociologique, Edition Gallimard, Paris, 1967, p.311.

هذه عموما هي إحدى خصائص المجتمعات الحلقية التي تقوم على مبدأ (أنا ضد أخي، أنا و أخي ضد ابن عمي، أنا و أخي و ابن عمي ضد كل الآخرين).

كل هذه الخصائص و المميزات رأيناها بوضوح في مجتمع الرحل عند كل من اولاد رحمة و السوامع و أولاد عيسى حيث لا يسود تقسيم مهم للعمل، و لا توجد تخصصات كثيرة و لا أعمال حرفية خارج تلك التي تقوم بها المرأة تحت الخيمة من حياكة للفليجة و بعض الألبسة التقليدية.

تنحصر أهم الأعمال المعروفة اليوم لدى الرحل في الرعي و سياقة الشاحنة وهذا التخصص الأخير كعمل مستجد على حساب وظائف و مهام أخرى اندثرت مع الزمن كالمشيخة ، الفروسية و الغزو .

ويمكن أن نلخص أهم الأدوار التي يقوم بها أفراد مجتمع الرحل حسب العمر و الجنس فيما يلي:

أ. **دور الأب:**

يمارس الأب سلطة مطلقة عند الرحل (مجتمع ذكوري) فهو الآمر و الناهي و لا يجوز في العرف الرد عليه أو مجاراته بشكل غير لائق في الحديث أو حتى رفع الصوت في حضرته، يشرف بشكل كامل على كل كبيرة و صغيرة في بيته كما يصرف كل الأعمال ، ينهض باكرا ليوجه كلا إلى عمله ثم يتجه بعد أن يضع شاشه، قدوارته وعصاه في يده إلى "الفيلاج" (وهذا خاصة إذا كان في التل) ليلتقي بباقي أرباب البيوت أمثاله يجلسون جماعة جماعة في مقهى يدور الحديث حول أحوال المرعى، الشاة و السوق بشكل عام أو قد يكون المقال لمقام آخر في شأن من شؤون فض النزاعات أو ترتيب قران أو عقد صلح، وهذا هو الحال في سائر الأيام، ماعدا يوم السوق حيث يتجه الأب بشاحنته للجلب و قضاء مستلزمات البيت وحاجياته مباشرة إليها (أي السوق)، ولم يعد

اليوم تواجد الأب ضروريا طيلة الوقت قريبا من خيمته و قطيعه فهو يستطيع تدبير الأمور و الطمأنينة على صيرورة العمل عن طريق الهاتف النقال.

ب. **الإبن الأكبر:**

للإبن الأكبر مكانة خاصة عند البدو الرحل فهو كذلك يحظى باحترام باقي الإخوة بعد أبيه وهو الوصي من بعده على كل شيء والأب يعهد إليه عادة سياقة الشاحنة، ويبدأ تزويج الأبناء في عرف الرحل بالابن الأكبر ثم الذي يليه.

ت. **باقي الإخوة:**

يتحدد عمل باقي الإخوة حسب سنهم و جنسهم و مقدرتهم على القيام بعمل ما والذي عادة ما يكون الرعي أو جلب الماء و يتداول عدة إخوة على رعي القطيع خلال النهار و قد تقوم البنت (الأخت) أو العجوز (الجدة) بالرعي كذلك عند لولاد رحمة وأولاد عيسى الأمر الذي لا نجده عند السوامع (المرأة لا تقوم بالرعي) و قد يصل عدد الإخوة عند اولاد رحمة وأولاد عيسى إلى 22 تحت الخيمة الواحدة بسبب تعدد الزوجات.

ث. **الزوجة:**

تقوم الزوجة على القيام بشؤون البيت من إعداد للطعام، تنظيف للخيمة و الزريبة و الاعتناء بالأبناء جملة، كما أنها تقوم أيضا كما رأينا سلفا بالحرص على دجاجها و باقي الخرفان الصغار، تشارك باقي النسوة في إقامة (السداية) لتجديد أو صناعة أجزاء من الخيمة، و الزوجة عند السوامع على العموم واحدة لكن عند اولاد رحمة وأولاد عيسى فغالبا ما تكون من اثنتان الى اربعة تحت الخيمة الواحدة وهم يقولون في هذا الشأن:

" *الراجل اللي عندو مرا وحدة.....أعور* "(س.ك).

ج. **الجد:**

يحظى الجد باحترام منقطع النظير في عائلة الرحل كما يلقى الطاعن في السن منهم عناية خاصة، فهو محـور الأنـس والسمر، يقص على أحفــاده مغامرات الترحال والتجوال عبر الأراضي الشاسعة والأوطان البعيدة ويستذكر مآرب الأجداد وخصالهم، يفخر بالنسب ويحفظه فهو الذاكرة والأصل والبركة.

ح. **الجدة:**

بالإضافة إلى ما يمكن أن تقوم بهـ من أعمال منزلية على غرار باقي النسوة تهتم الجدة أكثر بتطبيب الأحفاد بطرق تقليدية (باستعمال الأعشاب و التعاويذ) كما أن مداواة الشاة المريضة تقع أيضا على عاتقها عادة فهي العارفة بأنواع الأمراض و الخبيرة بتجريب الدواء.

ومنه نستنتج ان البدو الرحل يعتمدون على نظام معين ويقسمون العمل والأدوار بين افراد العائلة ويقدمون لكل فرد حسن السن والعمر عمل معين داخل الأسرة و خارجها تكون لنساء دور الطبخ و العناية بالحيوانات و حلبها و النسيج و تطبيب اما الذكور فيكون لهم دور الرعي و الأعمال الشاقة.

13. رحلة الرجوع للصحراء:

كان الرجوع في الماضي من التل إلى الصحراء يسمى لعزيب و هو من الأهمية التي يكتسيها و الصـعود إلى التل "العشابة" وإن كانـت معظم الكتابات ترتكز أكثر على حــركة العشابة و هذه الأهمية لم تكن في أهمية هذا التنقل في حد ذاتهـ و إنما للأهمية التي يعرفها التل دون الصحراء لكنهذه العودة بالنسبة للرحل حدث خاص من كل النواحي بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي فالحنين إلىالصحراء قد بلغ أوجهـ فيقولون: "أحنا مروحين" **(الملحق رقم: 18)** وهذه العودة تبدأ مع بداية البرد في الصحراء و زوال موجة الحر الشديد بها و يكون الحال أحسن ما يكون عليه عندما تتساقط الأمطار بها، فهي

بشرى لتوفر الماء و الكلأ هناك أيضا و الحدرة لا يكون إلى مكان بعينه في الجنوب وإنما تكون بنفس منطق الصعود إلى التل أي الذهاب إلى المكان الذي يمثل مجالهم الطبيعي فقد يرجع شبه الرحل إلى مكان محدد لهم به سكن ونشاطات أخرى محددة وقد قمنا التفصيل في ذلك في فصل خصصناه للرحل وشبه الرحل، كما أن بداية الموسم الفلاحي بالتل يدفعهم إلى شد أمتعتهم لأن الأراضي التي يحتلونها يجب أن تخلى لغرض حرثها. أما ما يخص زمن حدرتهم في ما يسمى لوقات ولحساب فيقولون :

"إذا هب المرزم أرحل وأعزم... من دار الصيف... مابقى مصيف" (س.ك).

والمرزم نجم يعرفونه يظهر في الصيف بعد 73 يوما من بدايته، أما آخرون فيبسطون القضية بقولهم :

"كي يرحل بلارج[1] نرحلو"

فهذا الطائر دليلهم على إنتهاء موسم الحر في التل و بداية موسم البرد وهو وإن طال مكوثه لا يتجاوز عتبة الأيام الأولى لشهر جانفي و يقولون على لسان هذا الطائر المهاجر :

"كون نزيد نهار في ينار يتلاحو عظامي في النار"(س.ك).

و منه نستنتج ان عودة البدو الرحل تكون مع تبدأ مع بداية البرد في الصحراء و زوال موجة الحر الشديد بها و يكون الحال أحسن ما يكون عليه عندما تتساقط الأمطار بها، فهي بشرى لتوفر الماء و الكلأ هناك أيضا و الحدرة لا يكون إلى مكان بعينه في الجنوب وإنما تكون بنفس منطق الصعود إلى التل أي الذهاب إلى المكان الذي يمثل مجالهم الطبيعي.

[1] البلارج هو اسم عامي لطائر مهاجر هو اللقلق الأبيض الكبير ذا العلامات السوداء على الجناحين، منقاره احمر وقدماه وساقاه بلون قرنفلي محمر. يعيش هذا الطائر في آسيا، شمال إفريقيا وأوروبا في فصل الصيف وفي إفريقيا وشمال الهند في فصل الشتاء، يعود هذا الطائر كل سنة إلى نفس العش وهو أيضا طائر وفي لا يتزوج إلا مرة واحدة. يوجد 17 نوعا من اللقالق في العالم، تتغذى على الحشرات ،الضفادع،الزواحف، صغار الطير وصغار الحيوانات الثدية، اغلب أصناف اللقالق تبحث عن طعامها في المستنقعات والوديان.

ب. الإنتاج الاقتصادي:

1. السوق بين القدم والحاضر:

وبعكس الماضي البعيد فان سلوكيات الرحل قد تغيرت بشكل كبير فيما يخص التردد على الأسواق فقبل المرحلة الاستعمارية كانوا لا يقصدونها إلا مرة واحدة في السنة[1]، لأنه من أهم الخصائص التي كانت تميز الترحال التقليدي هو الإبتعاد قدر المستطاع عن المدن وأسواقها لتحقيق غايته الإقتصادية التي كانت تتمثل في ثلاث متطلبات أساسية[2]:

- تحديد الإنفاق إلى أقصى حد مكن.
- التنقل المستمر.
- الإبتعاد عن السوق قدر المستطاع.

وهذا ما كان يردده الرعاة في الماضي " العيد أوقيدة الدار الجيدة و السوق البعيدة" [3] ثم تطور بعد ذلك تردد الرحل على المدن حتى وصل إلى 15 مرة في السنة أثناء الحقبة الكولونيالية بسبب الإستقطاب و الدور الذي أصبحت تلعبه هذه الأخيرة في ظل تغير مراكز القرار و المفاهيم العمرانية و الاقتصادية الجديدة التي فرضها الاستعمار الرأسمالي (تعميم التعاملات النقدية) أما اليوم فقد أصبح هذا التردد شبه يومي خاصة من طرف الأب. **(أنظر الملحق رقم: 19)**

[1] M’hammed Boukhobza, Monde Rural, Contraintes et mutations, Op. Cit., p.47.

[2] Ibid., p.31.

[3] Ibid.p30

2. **العرض والطلب:**

يتردد الرحل على السوق الأسبوعية ببلدية لازرو بشكل دائم ومستمر فهم إما جلابة أو سواقة ،في الحالة الأولى يقومون بجلب عدد معين من غنمهم على متن شاحنة لغرض بيعها ويرتبط سعر الماشية بقاعدة العرض و الطلب فكلما نقص المرعى يضطر الرحل و حتى غيرهم من أصحاب المواشي القاطنين بالمنطقة إلى بيعها كي يؤمنوا العلف لبقية القطيع وعندما يكثر العرض ينتج عنه إنخفاض في الأسعار والعكس صحيح ففي حالة توفر المرعى لا يضطر الكاسب إلى البيع وبالتالي يقل العرض مما يؤدي إلى إرتفاع أسعار الماشية واللحوم على حد سواء، وكثيرا ما يكون تساقط الأمطار حافزا هاما لرفع تلك الأسعار دفعة واحدة، أما في السنوات الأخيرة فقد تعقدت الأمور أكثر فأكثر بظهور اللحوم المجمدة المستوردة التي أغرقت السوق بها وبأثمان جد منخفضة جعلت الطلب على اللحوم الحمراء الطازجة المحلية يتراجع بشكل ملحوظ كما أن إنتشار إستهلاك اللحوم البيضاء وبشكل واسع لعب دورا هاما في تراجع أسعار الماشية وحتى العزوف عن شراء الصوف التي كانت تستعمل في حياة الناس بشكل واسع وإستبدالها بمواد بديلة أثر بشكل مهم على القيام والحفاظ على هذه الثروة الحيوانية وعاد بالضرر على الموالة منهم.

3. **البيع والشراء: (أنظر الملحق رقم: 20)**

يعرض الراحل غنمه في السوق أمام المارة وهو ينادي كلا باسمه:

" يا فلان أرواح نبيعلك"

فهو يعرف في الغالب جل أهل السوق من جزارين (الجزارة) أو ممن يعيدون البيع (عوادة السوق):

" أحنا هنا نعرفو كل بعضانا، أنا نعرف الجزار وو نعرف معاود السوق" (س.ك)

وهو أثناء ذلك يتفنن في إظهار محاسن أغنامه للشاري ويدعوه أن يجسها كي يعرف مدى سمنتها ثم يبين له أسنانها فهي إما "رباعية" أو "سداسية"[1] دلالة على عمرها وطراوة لحمها فيقوم الزبون من جهته بوضع يده على ظهرها وإدخال أصابعه بين ضلوعها وفوق عمودها الفقري من جهة المؤخرة أو يمسك ذيلها كي يتحسس الأماكن الدالة على السمنة في الشاة وحسن هيئتها وقد يقوم أيضا برفعها من إحدى قوائمها الخلفية كي يحدد بالتقريب وزنها وبعد ذلك يتفاوضان على تحديدسعرها وذلك بالمزايدة على من قبله إذ يقول الشاري:

" *واش عطاوك في هاذي*" أو " واش سمعت في هاذي"

ويضع يده على شاة بعينها [2] فيجيبه البائع " *هاذي أعطاوني فيها كذا*" ويذكر الثمن الذي إقترحه آخرقبله وإن كان هو أول المترددين فيقول له " باب ربي " أو "ما ساموش" فيأخذ معه ويرد محاولاإسترضاءه بنفس الثمن بقوله:

"أعطيهالي بهاذي السومة، راهي ماتجيبلكش كثر... ربحلي"

فيرد عليه البائع رافضا بعبارة معروفة:

"أشري تربح"

عندها يزيده عن السعر سالف الذكر شيئا فشيئا حتى إذا ما حصل الإتفاق على البيع ونطق البائع قائلا:

" االله يربح "[3]

[1] يسمى الخروف كذلك ما بقيت أسنانه متساوية فإذا سقطت له اثنتان منها واستبدلهما بأخرى اكبر بقليل سمي ب"الثني" أما إذا غير أربع أسنان فيسمى "رباعي" أو "علوش" ثم إذا كانت عدد الأسنان المستبدلة ستة سمي "سداسي" أو كبشا وعندما يستكمل باقي الأسنان يسمى "القارح" أو "الشارف" وتحدد كل مرحلة من هذه المراحل عمر الشاة و قيمتها التجارية في السوق.

[2] أما في غرب البلاد فيضع الشاري يده على يد البائع بشكل مبسوط ويقوم باقتراح ثمن الشاة والبائع يردد على مسمعه عبارة "أشري" ..أشري" دلالة على عدم رضاه وعندما ينطق الشاري بالسعر المناسب يشد البائع على يده علامة لتمام البيع، ووضع اليد على اليد هي أيضا إشارة للآخرين بعدم التدخل في العملية فإذا رفع هذا يده يعني أنه لا يريد الشراء فيقدم آخر يده ليضعها على يد للبائع.

[3] بعدما ينطق البائع بهذه العبارة يتم البيع ولا يمكن له التراجع بأي حال من الأحوال عن ذلك حتى ولو كان خاسرا.

يخرج الشاري مقصه[1] لينزع قطعة من الصوف دليلا على إنتهاء الأمر وقد يقوم من لا يملك مقصا بنتفها نتفا خفيفا بيده، أما كبار الموالة فيعلمونها بصباغ خاص بكل واحد منهم كل بطريقته حتى أنها تصبح مع مر الزمن معروفة بأنها علامة "فلان" فتكون له بعد ذلك بطاقة تعريف للهوية بين التجار ورأس مال إجتماعي في السوق:

"الراجل إيبيع وو يشري بوجهو[2] وو بكلمتو، كي تعود معروف فالسوق وو عرضك مليح ما تحتاجش للسوارد" (س.ك)

يقال في السوق "الغنم اليوم برطيط "، أي أنها بأرخص الأثمان، وعندما يكون سعرها مرتفعا يقال "الغنم اليوم ما تتقاسش" وفي الحالتين يقوم المرتحل ببيع كل رؤوس التي جلبها أو بعضا منها ثم يتجول في السوق يقضي حوائجه من خضر و فواكه و غيرها بما يكفيه للأسبوع القادم أما السواقة منهم فهم من يقومون بالتسوق فقط، وحاجيات الرحل في واقع الأمر لا تنقطع فهم دائمو التبضع في السوق اليومي للمدينة.

المحور الثالث: تأثير المدخلات الحضرية الحديثة على النمط الثقافي والاجتماعي للبدو الرحل؟

1. مضارب الخيام عند البدو الرحل:

يختار الرحل موضع خيمهم في هذه الحصائد بعناية فائقة حيث تكون في منأى عن الأنظار أولا وبعيدة عن الطرقات و أماكن المرور قدر المستطاع ثم يتم تثبيتها بما يعرف بـ" لماذق" في مكان مرتفع نسبيا (الجنابي) لكي لا تكون في وجه الريح مباشرة و هم يعرفون متى تهب هذه الرياح ومن أين تأتي هل هي" قبلية" أو "ظهرية" لذلك نجدهم كثيرا ما يغيرون مواقع خيامهم في المكان الواحد عدة مرات كما أنهم يتجنبون أماكن الوديان كي لا تفيض عليهم في حالة سقوط الأمطار فعادة ما تكون علامة إنغمار مكان

[1] لهذا السبب يردد الناس كثيرا عبارة " كلمة وو قص " حينما يريد أحدهم الفصل في أمر ما.

[2] يتداول في السوق كذلك عبارة " وجهلخوف معروف " دلالة على أن البدوي يعرف بفراستهويميز بين شر الخلق وأحسنهم.

ما بالمياه عدم وجود فأر الحقل بهـ و هي دلالة على عدم صلاح ذلك المضرب لحط الرحال فيهـ:(**أنظر الملحق رقم: 21)**

المضرب تاع البيت لازم إكون بعيد على العينين، اغطيها الجنابي من الريح... في الصيف تتحط من جيهة وو كي قرب الخريف نبدلوها للجيهة لخرى على حساب الريح منين تجي من القبلة ولا من الظهرة، لبلاصة لي يغمرها الماء والا طريق الواد مانحطوش فيها نعرفوها بالفار مايدورش فيها خلاص "(س.ك).

و منه نستنتج ان طبيعة هذا المجتمع الذي تسود عليه الحرمة فأن مضارب الخيام او موضع خيمهم يكون بعيد على الأنظار و الغرب و عن الطرقات و أماكن المرور؟

2. البركة عند البدو الرحل:

البركة عند الرحل هي الزيادة والكثرة من غير علة فهي تحل بالقليل فتجعلهـ كثيرا وتحل بالكثير فتجعلهـ نافعا وهي أيضا ثبوت الخير الإلهي في الشيء[1] ولذلك كان الإهتمام بها والبحث عنها أمر هام وضروري في حياة الرحل والإعتقاد بها راسخ لا شية فيهـ، فالنعجة على حد تعبيرهم "***لبارك فيها ربي والنبي***" فلقد جاءه أحدهم سائلا الكساء فأعطاه من صوفها وجاءه آخر عطشان فسقاه حليبها وجاءه آخر جوعان فأعطاه خروفها و بقيت النعجة كما هي " بركة"؛

وهنا دليل واضح على إيمان الرجل الملموس بالبركة التي أودعها الله عز و جل بشكل خاص في بعض الأشياء فيقولون "**الله بارك في النخلة والرخلة**" أي أنها أشياء تحمل الخير في ذاتها ورزقها موفور خاصة إذا إرتبطت بالإيمان بالله عز وجل "ولو أن أهل القرى آمنوا لأنزلنا عليهم بركات من السماء " (الآية من سورة)

1 http://www.saaid.net/arabic/7. 22/04/2022 à 11h 26m.

ويؤكد أنري مندراس Henri Mendras في هذا الصدد "أن الحساب الإقتصادي بمعنى الكلمة لا يوجد في المجتمعات التقليدية، هذا ما يفترض وجود أسس عقلانية أخرى تتحكم في هذا النوع من السلوكيات وهي مبنية على قيم وإعتقادات مخالفة"[1] .

و توجد كذلك البركة في بعض ما ذكر في القرآن الكريم و سنة الرسول (صلى الله عليه و سلم) كالعسل و زيت الزيتون ، و القمح.

ويكون طلبها على العموم في غير ذلك من الولد والوقت والعمل والإنتاج والزوجة والعلم والدابة والدار والعقل و الجوارح و الصديق و سائر نواحي الحياة[2].

و منه نستنتج ان هذا المجتمع يأمن ايمانا حقيقيا بالبركة التي يرى انها عطاءا من الله و قد وضعه في بعض الأشياء من بينها النخل و الشاه.

3. الزواج:

عندما يضطر الراحل للإنفصال عن أبيه لتكوين حياته المستقلة والتي عادة ما تبدأ بالزواج فإنه لا يأخذ من أبيه سوى " *دعوة الخير*"، فالوالد ليس مضطرا لإعطاء ولده أكثر مما أعطاه :

" *أنا كبرتو و زوزتو مالا ما يسال عندي والو، أنا بابا ما عطانيش ملا هو إدبر راسو*"(س.ك).

أي على الإبن أن يعول على نفسه في تكوين قطيعه الخاص وألا يطمع أبدا في الحصول على عطاء مفروض من والده. يبدأ الشاب الراحل الناشئ بامتهان الرعي كي يكون تدريجيا نواة قطيعه الصغير الذي وفقا لما نشأ عليه وتلقنه سيصير خيرا كثيرا وهو الأمر الذي يقتنع به كل الإقتناع و يطمئن له و لا يبدأ حياته إلا طامحا ومتفائلا

1 Henri Mendras, Eléments de sociologie, Edition Armand Colin, Paris, Quatrième édition 1996, p14.

2 http://www.saaid.net/arabic/7. Le 22/04/2022 à 11h 26m.

بالنجاح في تكوين قطيع كبير على شاكلة من سبقه ولا يكون الرعي السبيل الوحيد في الحصول على عدد يسير من الرؤوس فقد يجود عليه والده بجود العام:

" *إذا كان العام مليح و الخير كاين نعطيه*"(س.ك).

أما إذا صادف إنفصال هذا الشاب عن والده أعوام الشح فيجب أن ألا يعتمد إلا على نفسه؛ كما يمكن لهذا الشاب أيضا أن يحصل على تلك النعاج من هدايا العرس أو عن عملية تعاونية من طرف مجتمعه.

ومنه نستنتج ان للبدو الرحل عادات أخرى مختلفة في الزواج فلاب لا يساعد ابنه في متطلبات الزواج الا بدعوة الخير و عى الابن ان يتكلف بزواجه بنفسه سواءا في تكاليف إقامة العرس او في تربية المواشي و اعداد قطيع متواضع من المواشي.

4. **إقامة الأعراس بالتل: (أنظر الملحق رقم: 22)**

يحرس الرحل من أولاد رحمة وأولاد عيسى والسوامع على إقامة أعراسهم[1] في منطقة لازرو في فصل الصيف فهو من الناحية الزمنية أنسب الأوقات لإقامة مثل هذه الاحتفالات أما من الناحية المكانية فالتناسب يقع لكون هؤلاء الرحل يجتمعون في مثل هذه المنطقة في مثل هذا الوقت من كل السنة ودون ذلك فهم متفرقون في أنحاء شتى ومتباعدة من البلاد.

يقوم صاحب الزيجة بدعوة [2] أقاربه وحتى معارفه من أهل المدينة في عين عبيد إلى مأدبة عشاء تمتد طيلة أسبوع كامل عند مضاربه، تقدم خلالها أطباق "الجاري" نهارا عند الغداء و قصعة "الكسكسي" المرصعة بقطع اللحم الكبيرة عند العشاء كما تقوم الخيل

[1] يقيم الرحل عادة أعراسهم تزامنا مع اكتمال البدر حتى يكون المكان مضيئا وتتشاءم العروس وأهلها من احتمال حجب الغيوم للقمر فهو فأل غير حسن ونجد في التراث البدوي أغنية تغنيها العروس في هذا المقام حزنا على حظها التعيس فتقول: " في ليلة عرسي غابت القمرة" ونفس التشاؤم نجده أيضا عند الحضر لما تنقطع الكهرباء .

[2] التخلف عن الدعوة بالنسبة للرحل أمر لا يغتفر وقد تكون عواقبه وخيمة تذهب إلى حد قطع العلاقات بينهم لان عدم تلبية الدعوة في حد ذاتها إشارة إلى وجود إشكال ما خاصة إذا كان الأمر يتعلق بأقرب الأقربين، أما إذا كان هذا الغياب لها مبرراته الموضوعية فعلى المعني أن يزور أهل العرس في قرب وقت ممكن و هو يحمل بين يديه هدية تعيض ما كان منه من تقصير وتظهر حسن نواياه في كل الأحوال.

باستعراض جميل و متناسق للفونطازيا تعيد إلى الأذهان سابق عهدهم بالخيل و الفروسية و ينطلق البارود في السماء ممتزجا بالزغاريد تعبيرا عن الفرحة العارمة بالزيجة.

تنتصب غير بعيد عن الخيمة الكبيرة قيطونات خاصة بالشباب المدعوين وهي أبعد نسبيا عن قيطونات الكبار وهذا حتى يتسنى لهم أخذ كل حريتهم فيما يفعلونه من رقص وقهقهة وزهو الشيء الذي يمتنعون عنه بشكل كلي أمام كبارهم لأنهم يوقرونهم أيما وقار حتى أنهم لا يستطيعون مجالستهم أوحتى الخوض في أحاديثهم لذلك نجد الكبار من جهتهم يتركون هذه الفسحة لهم ويعملون على الابتعاد عنهم وتجاهلهم.

" *أحنا les jeunes مانقدروش نقعدو مع الشيوخ هوما عقلية وأحنا عقلية، ماتقدرش تشطح ولا تقصر قدامهم...عيب وو زيد احنا نقادروهم بزاف*" (س.ك).

هؤلاء الشباب الذين يسترسلون في الرقص على طريقتهم على أنغام الأغاني الصحراوية مستعملين الديسك جوكي الذي تغذيه كهرباء مولد صغير و يحيطون بالعريس يحثونه على مجاراتهم في كل ما يفعلونه، و هم يلبسون ألبسة عصرية تختلف عن كبارهم الذين لا يزالون يتمسكون بالشاش و القدوارة و العريس من جهته يرتدي "الكوستيم" الذي يميزه عن باقي الشباب بأناقته المتألقة.

بعد تناول الغداء مبكرا (على الساعة العاشرة صباحا) ينتظر الجميع تجمع السيارات لتنظيم محفل استقدام العروس أو ما يعرف "بالكورتاج " الذي يظم سيارات للمعارف و أخرى تم استئجارها، ثم يأمر أب العريس بخروج النسوة للركوب فيها و خلال دقائق تنطلق هذه السيارات التي زينت بالورد و الدبل تدوي بالكلاكسون: "إنها تنبعث من كل مكان وتنتهي بامتزاج بديع، بها يتميزون عن الآخرين، وبتلك الزغاريد المدعمة يعلنون لهم بأنهم يحتفلون"[1] وعند الوصول إلى بيت العروس يتم إكرام القادمين بتقديم القهوة و مختلف أطباق الحلوى ثم يتم شحن "شورة العروسة" المتواضعة و البسيطة على

[1] Boulem Souibès, Algérie, terre de contrastes, Edition lablimage, Alger, 2006, p49.

متن سيارة من نوع "404 باشي"، بعدها تخرج العروس و هي ترتدي فستانها الجميل (La robe) لتركب أجمل السيارات الموجودة ضمن الموكب و قد ركب زوجها بجانبها ثم يقفل الموكب عائدا إلى بيت العريس و قد زاد محفل الرجوع صخبا بارتفاع الزغاريد و كذا استعمال البارود المدوي والنسوة المرافقات يسترسلن بغناء الظفر والغنيمة " جبناها..... جبناها.....دياناها.....دياناها ".

ومشهد العرس هذا لا يرضي كثيرا الشيوخ الذين تراهم يأسون على الأيام الخوالي حيث كانت العروس تأتي إلى بيت زوجها على هودج بعير و كانت الأفراح تقام لمدة شهر يأكل الناس فيها و يتسامرون .

" الدنيا كانت خير من هكذا، كانت البراكة و الحشمة، لعريس كان يستحي يبانقدام باباه وو خاوتو طوال مدة العرس، أما اليومعادو ايديرو كيما ناس لمدينة" (س.ك).

أما من كان من شبه الرحل فيدعون بدورهم إلى مثل هذا العرس بحكم علاقاتهم المختلفة مع الرحل فقد يكونون من أهاليهم أو أقاربهم وإنما تكون حياتهم قد بدأت منذ زمن في نحو منحا مختلف للاستقرار النسبي وهم على شاكلة الحضر لا يستطيعون إقامة أعراسهم إلا حيث مساكنهم :

" أحنا عندنا أحبابنا و جيرانا لهيه ما نقدروش نديرو العرس هنا " (س . ك).

فكل شؤونهم و ارتباطاتهم الرسمية حيث بنوا مساكن من طوب و إنما يكون تواجدهم بمنطقة عين عبيد فقط لعوامل اقتصادية ترتبط بالدرجة الأولى برعي أغنامهم و الإشراف عليها لا أكثر.

و منه نستنتج ان الزواج او العرس يقام في التل و ذلك لنها المنطقة التي يجتمعون فيها صيفا و يكون كل الاهل و الأقارب متواجدين اما بالنسبة لشبه الرحل فإن إقامة الاعراس تكون في موطنهم الأصلي و ذلك لان أهلهم يكونون في الموطن الأصلي.

5. القشابية و البرنوس: (انظر الملحق رقم23)

تعتلي "القشابية" كل شتاء صدارة الألبسة التراثية في الجزائر، ومن خصوصيتها مع تغير الأزمنة والأجيال، أنها ليست حكرا على الكبار في السن وحدهم، بل كذلك تلقى اهتمام الشباب. إذ في الكثير من المناطق لا يخلو منزل واحد من شخص لا يرتدي هذا اللباس التقليدي العريق، خاصة أنه عرف نوعا من التحديث، حيث حوّله بعض الحرفيين إلى شكل معطف.

ورغم أنّ القشابية لباس رجالي شتوي ينتشر بكثافة في المحافظات الشرقية، لكنه مصنوع على مراحل عديدة بأياد نسائية من وبر الجمال وصوف الأغنام.

وعادة ما تغزل النساء القشابية بصبر على المناسج الخشبية التقليدية، فيما باتت مؤخرا تصنع في معامل النسيج، كمدفأة للرجال في فصل الشتاء البارد.

وتبدأ مراحل حياكة القشابية بانتقاء وتنقية وغسل الوبر أو الصوف، ثم التجفيف والغزل لاستخراج خيوط النسيج، يليهما الحياكة والصباغة بين ألوان الأسود والأبيض والبني، مستعملين في ذلك أدوات تقليدية لم تتطور حتى يومنا هذا.

وتشكل القشابية بجانب البرنوس أشهر الألبسة التراثية للرجال، فيما يعد "الكراكو" و"الملايا" من أبرز الألبسة النسائية في الجزائر. وهي ألبسة مازالت تقاوم هجمات الموضة.

ومن الأمور التي تجعل الرجل الجزائري متمسكا بالقشابية رغم المعاطف العصرية التي تواكب الموضة، هي رمزيتها التاريخية، فعلاوة على الهمة والشموخ اللذين تمنحهما لمرتديها، ظلت القشابية اللباس المفضل للثوار في المدن والجبال والقرى، كما كانت مخبأ للأسلحة التي نفذت بها العمليات الفدائية إبّان الاستعمار الفرنسي للجزائر.

قالت فايزة رياش، الباحثة في التراث الجزائري، إنّ "القشابية جزء من الصناعة التقليدية النسيجية، التي كانت رائجة خلال الفترات القديمة والحضارات الإسلامية."

وأضافت، "صناعة القشابية ازدهرت في المناطق الصحراوية الرعوية بالجزائر، حيث برودة الطقس وانتشار رعاة الأغنام، ويوجد منها القصير والطويل."

بدوره، اعتبر الصحافي الجزائري المتخصص في الشأن الثقافي صالح سعودي، أنّ "القشابية لباس تراثي يرتديه الجزائريون من الطبقات الاجتماعية والفئات العمرية المختلفة، ويسجل حضوره بقوة في مواجهة موضة الأزياء التي تغزو البلاد."

وقال سعودي، "حتى الآن يظل التجار المتنقلين يفضلون ارتداء القشابية، لأنها تضمن الدفء وتقاوم البرد الشديد في فصل الشتاء."

وتابع، "كلّما خفّ وزنها ارتفع ثمنها، لذلك فإن أسعار القشابية تختلف حسب نوعية الوبر والصوف المستخدم في صناعتها، والذي يبلغ في بعض الأحيان 80 ألف دينار جزائري (حوالي 350 دولارا)."

من جانبه أكد طارق بن محمد، صاحب محل لبيع القشابية بمحافظة الجلفة (شمال) أنّ صناعة اللباس التراثي تعد من بين الحرف اليدوية التي تقوم بها النساء لاسيما المسنات في المنازل، واللواتي بدأ عددهن يقل وبدأت الحرفة تندثر.

وأضاف بن محمد، "الإقبال على شراء القشابية قليل هذا العام مقارنة بالأعوام الماضية، بسبب تأثير وباء كورونا على القدرة الشرائية للجزائريين."

وأوضح أن أسعار القشابية المصنوعة من الصوف تتروح بين 20 و30 ألف دينار (بين 110 و180 دولارا)، فيما تتروح أسعار المصنوعة من وبر الجمال بين 40 و150 ألف دينار (بين 200 و800 دولار)، أما أفضل الأنواع فهي المصنوعة من وبر "العقيقة" (صغار الجمال) ويصل سعر القشابية منها إلى 150 ألف دينار (حوالي 800 دولار).

يشدد الكثير من الحرفيين وصانعي الألبسة التقليدية عموما والقشابية خصوصا على عدة مشاكل تعتريهم في مهنتهم، خاصة في ما يتلعق بارتفاع أسعار المواد الأولية

إضافة إلى أزمة التسويق حتى في المدن الكبرى، حيث من الصعب أن تجد محلا مخصصا لها.

وتتعرض القشابية الجزائرية منذ سنوات إلى منافسة شرسة فرضتها عليها السلع الصينية المقلدة، حيث عمدت إلى طرح أنواع أقل جودة وبأسعار فتحت شهية الجزائريين الذين عجزوا عن اقتناء المحلية التي صارت حكرا على الأثرياء. يقول بن محمد، إن القشابية الصينية مصنوعة من مجرد قطن وليس من وبر حقيقي، لذلك يبقى سعرها رخيصا ويقبل عليها الفقراء وحتى الشباب الذين ينسقونها مع بنطلونات الجينز والأحذية الرياضية.

ويتفق التجار في أسواق الجلفة، على أن القشابية المحلية بدأت تختفي من الأسواق لسببين، أولا نظرا لغلاء سعرها، وثانيا بسبب خياطتها التقليدية وعدم مواكبتها للعصر، من حيث الابتكار في التصميم. كما يعيق ثقلها الحركة السريعة التي فرضها نمط الحياة العصري.

ويحاول الحرفيون اليوم الإبداع في تصميم القشابية وأشكالها، فصنعوا قشابية على شكل معطف لاقت رواجا وانتشارا كبيرين خصوصا بين الشباب، بل صنعوا منها لباسا نسائيا أقدمت عليه الشابات خاصة المغتربات منهن. كما أصبح الحرفيون يمزجون بين الوبر المحلي والوبر المستورد من آسيا لتخفيف تكاليف الصناعة وبالتالي التخفيض في الأسعار.

ومنه نستنتج ان القشابية و البرنوس من اكثر الألبسة التي يرتديها البدو الرحل فهي اصل للكفاح و الرجولة و للهوية الجزائرية كما انها رداء دافئ من قساوة برد التل و ثلوجها.

نتائج الدراسة

- لم تفقد حركة البدو الرحل طابعها التقليدي فيما يخص تزامن الصعود أو القدوم إلى التل فببداية فصل الربيع يتسابق الرحل إلى الشمال بحثا عن الكلأ لأغنامهم في المناطق التي عهدوا شد المتاع إليها في مثل هذا الوقت من كل سنة بعد ضمان مرور التقلبات الجوية التي يمكن أن تحصل في فصل الربيع خاصة خلال شهر مارس الذي يعرف بتساقط الثلوج في هذه المنطقة و هذا كي لا تتعرض أغنامهم إلى موجة برد فتاكة قد تؤدي إلى هلاكها ،فالمعروف أن الشاة لا تتحمل درجات الحرارة الجد منخفضة، وللبدو الرحل كذلك حسابات يعرفونها جيدا بما تراكم لديهم من خبرة في معرفة أحوال الطقس في هذه الفترة من السنة بما يسمى " حساب عرب " أو "لوقات لحساب" ؛ و لأن المناطق الرعوية تكون في فصل الربيع منحصرة على الجبال و سفوحها و بعض القطع الفلاحية التي تخضع للراحة "العطيل" فإن التنافس يكون محموما للفوز بهذه الأراضي خاصة إذا كان العام شحيحا من حيث تساقط الأمطار.
- يبدأ توافد أولاد رحمة وأولاد عيسى و أولاد دراج مع تحسسهم إرتفاع درجة الحرارة في التل إلى تخوم غابات عين برناز و سفوح جبل مسطاس التي تقع كلها شمال لازرو والتي تعرف محليا بالساحل في خطوة أولى لترصد المراعي الشاسعة التي تقع جنوب البلدية والمعروفة بصراوات برج مهيريس و لكحالشة كبار وهذا طبعا للفوز بتلك الحقول بعد عملية الحصاد، أما قبل ذلك فهم يحاولون تمضية الربيع مستغلين المراعي الجبلية و تخوم الغابات في فرصة لتمضية هذه الفترة دون تكاليف و أعباء تثقل كاهلهم و تسمح لهم في نفس الوقت بجز صوف أغنامهم مع نهايات شهر ماي في أحسن حال ،ومع بداية موسم الحصاد يبدأ الرحل اتصالاتهم مع أصحاب الأراضي للتفاوض من أجل إستغلال الحصائد و كذا شراء كميات "البال" التي يقومون بنقلها في شاحناتهم إلى الجنوب بغرض تخزينها كإحتياط من العلف لأغنامهم أو إعادة بيعها في السوق بأثمان مضاعفة و لأن موسم الحصاد قد يتأخر قليلا عن عادته لأسباب مناخية (عدم نضج

القمح بسبب تأخر موجة الحرارة) فإن قلق الرحل يبدو واضحا للإسراع في التنقل إلى الجهة الجنوبية للمنطقة هروبا من الحشرات الضارة التي تستيقظ في مثل هذا الوقت كالقراد و البرغوث والتي تزحف على الأغنام من الجبال و الغابات، هذا ناهيك عن إزدياد نسبة الرطوبة بتلك المناطق الأمر الذي يجعلهم يستعجلون بإبعادها في أسرع ما يمكن لحمايتها من الأمراض والأوبئة.

- يتفاوض الرحل مع مالك الحصيدة لتحديد ثمن الهكتار أو كما يسمونه " لقطار"، وقد يتماستئجار هذه الحصائد بشكل جماعي أو فردي هذا يرجع فقط إلى شساعة تلك المراعي و كذا الثمنالذي اتفق عليه، وحتى و إن تم الكراء الجماعي فتقسيم هذه الأراضي لا مناص منه بينهم ثم يجري بعد ذلك تعيين مجال مرعى كل واحد منهم حسب قيمة المبلغ المدفوع من طرفه و كذا الإحتكام لرأي كبير الجماعة، بعدها يضربون خيامهم في أماكن يختارونها بعناية فائقة ثم يزاولون رعي أغنامهم باحترافية مشهود لهم بها .
- لقد أخذ الترحال اليوم شكلا أكثر فردانية تلاءم مع كل مرحلة من مراحل التغيرات العقارية التي طرأت على وضعية الأرض وأصبح أكثر إنسجاما لمحتوى متطلبات العصر التي تدور تجذباتها حول المدن والأسواق.
- فما زال الترحال اليوم بالرغم من نزعته الفردانية يسير وفق التوجهات العامة للإنتاج التقليدي من تحديد للإنفاق إلى أقصى حد ممكن وتطوير إستراتيجيات تعويضية تغطي نقاط الضعف فيه كالشراكة مع أصحاب الأراضي في القطيع والتجارة والتهريب، كما أن الترحال الحالي لم يتخلى عن استغلال بعض الحيوانات وتسخيرها بما تقتضيه الحاجة والمنفعة ويبقى مجتمع يتشكل من خلايا عائلية هي في نفس الوقت عبارة عن وحدات إنتاجية تؤمن للفرد الحماية الاجتماعية والاقتصادية.
- لا يعرف الرحل مصطلحا يسمى البطالة فلكل فرد مكانته ومهامه التي يضطلع بها وفقا لمعياري الجنس و العمر، و لأن تقسيم العمل في هذا المجتمع يتميز ببساطته و محدودية التخصص فيه فإن ذلك يجعل من تلك الوحدات العائلية تتشابه تشابها يكاد

يكون مطلقا وهذا ما يدفعنا إلى تصنيفها وفقا للنموذج الدوركايمي الذي يصف مثل هذه المجتمعات بالبسيطة و المتجانسة نتيجة لضعف تقسيم العمل فيها إلى درجة كبيرة و تعرف هذه المجتمعات ما يطلق عليه دوركايم التضامن الميكانيكي حيث لا يختلف الأفراد فيها كثيرا بعضهم عن بعض و هم يتشابهون لأنهم يشعرون بنفس الأحاسيس و يتقاسمون نفس القيم كما أنهم يؤمنون بنفس المقدس.

- تعد القشابية اللباس التقليدي الرائج عند البدو الرحل و ذلك لكونها تقي من برد شتاء التل و كما ان لها بعد تاريخي وثقافي فهي تدل على الهوية الجزائرية و التأصل بها و هي رمز للكفاح و العروبة و الرجولة.
- يحرس الرحل من أولاد رحمة وأولاد عيسى و السوامع على إقامة أعراسهم في منطقة لازرو في فصل الصيف فهو من الناحية الزمنية أنسب الأوقات لإقامة مثل هذه الاحتفالات أما من الناحية المكانية فالتناسب يقع لكون هؤلاء الرحل يجتمعون في مثل هذه المنطقة في مثل هذا الوقت من كل السنة و دون ذلك فهم متفرقون في أنحاء شتى و متباعدة من البلاد.

الخـــــاتمة

خاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة تتبع مسار حياة الترحال في الجزائر كيف كان وإلى أين يتجه اليوم؛ وقد رأينا من خلال مجمل ما قدمناه أن الترحال مر بعدة مراحل كان أولها عصر القوة والإزدهار الذي ساد قبل 1350م حيث كان البدو الرحل يسيطرون على تجارة القوافل، يؤمنون طرقها ويصنعون الدول بكثرتهم وعصبيتهم في بلاد المغرب العربي أين كانت كذلك المدن والأمصار تحت سيطرتهم وحمايتهم.

جاءت بعد ذلك مرحلة من الضعف والتقهقر دامت إلى مجيء الفرنسيين سنة 1830 م، حيث دخلت المنطقة في فوضى عارمة كان سببها النزاعات المستمرة بين الدويلات القائمة آنذاك وكثرة الثورات لعدم توفر الإستقرار الإجتماعي و تفشي الأمراض والحروب مما نتج عنه حالة من اللاأمن تحولت على إثرها طريق الذهب القديمة (السودان– سجلماسة– المغرب) إلى محور جديد يخدم أكثر مصر المماليك، كما أن إكتشاف الطرق البحرية خلال القرن الخامس عشر همش بشكل شبه كلي الدور الحيوي الذي كان يلعبه البدو الرحل في التجارة وتأمينها؛ هذه المرحلة إستمرت إلى ما بعد الوجود العثماني في الجزائر إبتداء من سنة 1518م حيث أن هذا الأخير لم يكن ليضفي تغيرات مهمة على مجرى الحياة الإجتماعية التي سادت قبل ذلك العهد في الوقت الذي كانت فيه المجتمعات الأوروبية تشهد تحولات عميقة وجذرية أدت فيما بعد إلى تفوقها وهيمنتها على باقي العالم.

ثالث مرحلة كانت مرحلة التفكك والإنحلال التي تعرض لها الترحال عقب الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 م والذي أجبر الرحل في الشمال على التوطن في التلال و سفوح الجبال التي لم يجد لها المستعمرون جدوى و قيمة فلاحيه وذلك باستعمال أكثر الطرق راديكالية من حصار وتصفية جسدية مما أدى إلى زوال الترحال الرطب بشكل مفاجئ وعنيف سنة 1900م مما جعل حركة العشابة نحو الشمال غير ممكنة

تدريجيا حتى تم إلغاؤها تماما من طرف الإدارة الفرنسية سنة 1920م، وبالتالي كان على الترحال الجاف أن يتعرض بدوره إلى عوامل الإنحلال و التفكك ،فلقد حوصر هذا الأخير مدفوعا إلى المناطق الأكثر فقرا من الهضاب العليا، فكان على الرحل أن يواجهوا الوضع الجديد ويحاولوا تخطي ندرة المياه

والكلأ في تلك المناطق الشحيحة من جهة و تأمين الجو المناسب لقطعانهم والطعام لعوائلهم منجهة أخرى، فأضطرهم ذلك إلى تحويل حركتهم نحو الجنوب حيث لا يمكن لأغنامهم أن تطيل البقاء بعد النصف الثاني من أفريل و هذا بسبب إرتفاع درجة الحرارة وقلة المياه هناك، فأدت جملة هذه المستجدات إلى الاستغلال الفاحش لمراعي الهضاب كما أن الحاجة أيضا إلى الطعام أجبرت الرحل على ممارسة الزراعة مما جعل قرابة المليون من الأراضي الرعوية تخضع لعمليات حرث مكثفة من أجل توفير القمح و الشعير اللذان كانا مصدرهما فيما مضى الشمال، ومع انتهاء كذلك الدور التقليدي للبدو الرحل كوسطاء تجاريين بين التل و أهل القصور بدأت سلسلة التخلي عن الحياة القديمة و عن قطعان الماشية الموفورة إما بحثا عن عمل مأجور عند المستعمرين كخماسة أو الإكتفاء بعدد قليل من رؤوس الغنم و القبول بحياة مزرية فرضها الواقع الإستعماري بكل ما يحمله من قيم تختلف جذريا عن القيم التي عهدوها من قبل و علاقات جديدة لها منطقهاالخاص كتعميم التعاملات النقدية و تفكيك وحدة الأراضي و إنتشار العمل المأجور ، هذه المفاهيم الرأسمالية المهيمنة جعلت من النزعة الفردانية داخل المجتمع الجزائري تزداد شيئا فشيئا حتى هددت البنى الاجتماعية و الاقتصادية التقليدية. بعد الإستقلال الوطني تأتي مرحلة التعايش ومحاولة الإستمرار إذ ظهر نوع جديد من الترحال يعتمد إستراتيجيات تخالف تماما تلك التي كانت تحرك مفاهيم وأسس الترحال القديم وتتلاءم أكثر و المستجدات الحاصلة اليوم من نقص في المساحات الرعوية و محدودية التنقل بسبب زيادة إنتشار ملكية الأراضي حيث أعطى إستعمال الأعلاف الصناعية و الشاحنة كوسيلة نقل بديلة، نفسا جديدا لترحال إحترافي يستأثر الملكية الفردية بدلا من

الملكية العائلية وتبرز فيه العلاقات الإجتماعية المبنية على إقتصاد السوق عوض العلاقات الإجتماعية المبنية على القرابة، الموالاة أو التبعية هذا بالإضافة إلى ألفة المدن والأسواق حيث أصبح الرحل يترددون عليها بشكل دائم ومستمر ناهيك عن تغير منطق العلاقات الخارجية مع المحيط والتي كان يتحكم فيها شيخ القبيلة وأعيانها إلى منطق فرداني يتوقف على المرتحل في حد ذاته.

إن ترحال اليوم أصبح أكثر مرونة في تقبل العصرنة ووسائلها وهو في نفس الوقت لا يزال يحتفظ بكل فاعليته القديمة فيما يخص التأقلم مع ظروف الطبيعة المتباينة حيث يستمر الدور التكاملي الذي أوجدته الجغرافيا وصنعه التاريخ بين التل والصحراء وهو يتجه نحو نمط جديد يزاوج بين أساليب الإنتاج الرعوية الحديثة والتقليدية أين يحافظ فيها الترحال على أهم

قواعده العملية القديمة بخطوطها العريضة مطورا إستراتيجيات تعويضية تبقي على توازنها، هذا بالإضافة إلى أن بساطة هذا الإنتاج هو ما يجعله في الأساس ذا بعد إقتصادي ناجع في ظل ما تعرفه الدولة اليوم من أزمة في توفير السكن والشغل.

يبقى إذن البدو الرحل في الجزائر يشكلون مكونا هيكليا للمجتمع الجزائري لهم وزنهم الثقافي والإقتصادي المشهود هذا على الرغم من قلة وزنهم الديمغرافي، ومن المهم كذلك أن يبقى البحث مستمرا ومتاحا للإجابة على العديد من التساؤلات التي لم تتح لنا الفرصة بعد في صبر أغوارها جيدا، كمثل التسائل عن وجهة الأموال الطائلة التي يجنيها البدو الرحل من خلال تربيتهم للمواشي، فيما يستثمرونها وأين يوجهونها ؟.

قائمة المراجع والمصادر

قائمة المراجع:

أ. المراجع العربية:

1. ابن خلدون عبد ا لرحمن، مقدمة العلامة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت ،2003.

2. إتيين برونو، عبد القادر الجزائري، ترجمة المهندس ميشيل خوري، الديوان الوطني للنشر والطباعة، الجزائر، ط $_2$، 2001.

3. السويدي محمد، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

4. السويدي محمد، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، جويلية .1990

5. الفوال صلاح مصطفى، علم الاجتماع البدوي، التأصيل النظري، الجزء الأول، دار الغريب، القاهرة ،2002.

6. الفوال صلاح مصطفى، علم الاجتماع البدوي، البنيان الاجتماعي للمجتمعات الصحراوية القبائلية الرعوية، الجزء الثاني، دار الغريب، القاهرة ،2005.

7. الفوال صلاح مصطفى، علم الاجتماع البدوي، النظم والأنساق، دراسة البنية الإجتماعية للمجتمعات العشائرية القبلية، الجزء الثالث، دار الغريب، القاهرة ،2005.

8. الفوال صلاح مصطفى، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مكتبة غريب، القاهرة، سبتمبر 1982.

9. بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة، الطبع الأولى،1980.

10. علي فؤاد احمد، مشكلات المجتمع الريفي في العالم العربي، دار النهضة العربية، بيروت،1988.

11. غدنز أنتوني، علم الإجماع، ترجمة وتقديم الدكتور فايز الصياغ، بيروت، مؤسسة ترجمان، ط4، 2005.

12. كارول بالمر، الفلاحون والبدو في الأردن، ترجمة عفاف زيادة، مؤسسة أهلنا ،2008.

13. مشارفة محمد زهير، الحياة الاجتماعية عند البدو الرحل في الوطن العربي، طلاسدار، دمشق،1988.

14. مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر ،1999.

15. هاينريش فون مالستان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة الدكتور أبو العيد دودو، الجزء الأول، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1976

16. هاينريش فون مالستان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة الدكتور أبو العيد دودو، ج2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1979.

ب. مذكرة ماجيستير:

1. لغريبي نسيمة، تجربة توطين البدو الرحل بالمدينة الصحراوية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قسنطينة ،2007.

ت. مجلات باللغة العربية:

1. إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الإجتماعية، عدد 38، أكتوبر- ديسمبر 2007.

2. الآداب، مجلة أدبية فكرية عن معهد الآداب واللغة العربية، العدد: 02، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة،1995

3. مجلة العلوم الإنسانية، دار البعث، قسنطينة،1999

ث. قائمة المعاجم باللغة العربية:

1. ابن منظور، لسان العرب المحيط، المجلد الأول، من الألف إلى الراء، دار الحديث، القاهرة، سنة 2003.

2. ابن منظور، لسان العرب المحيط، المجلد الأول، الأحرف ظ،ع ،غ ، دار الحديث، القاهرة، سنة 2003.

ج. المراجع باللغة الفرنسية:

1. Marouf Nadir, Terroirs et villages Algériens, O.P.U, Alger, Avril 1984. 31- Mendras Henri, Eléments de sociologie, Paris, Armand colin, 1ére édition, 1989, 4éme édition, 1996.

2. .A. Cauneille, Les chaânba (leur nomadisme), Evolution de la tribu durant l'administration française, Edition du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1968.

3. Ageron C.R, Histoire de l'Algérie contemporaine, P.U.F, Paris, 1983.

4. Balandier Georges, Anthropo-logiques, Librairie Générale Française, Paris, 1985.

5. Berque Jacques, Contribution à l'étude des contrats nord africains (les pactes pastoraux beni meskine), Alger, 1836.

6. Boukhbza M'hamed, L'agro pastoralisme traditionnel en Algérie, OPU, Alger, 1982.

7. Boukhbza M'hammed, Monde rural : contraintes et mutations, OPU, Alger, Novembre 1992.

8. Boulem Souibès, Algérie, terre de contrastes, Edition lablimage, Alger, 2006.

9. Bourdieu Pierre, Le sens pratique, Les Editions de Minuit, Paris, 1980.

10. Bourdieu Pierre, Sociologie de l'Algérie, P.U.F, Paris, 1re édition. 1958, 3ème édition.1970.

11. Cambon Jules, Le pays du mouton, des conditions d'existence des troupeaux sur les hauts plateaux et dans le sud de l'Algérie, Giralt, Alger, 1893.

12. Charles-André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, La conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), Casbah Edition, Alger, 2005.

13. Henri Mendras, Eléments de sociologie, Edition Armand Colin, Paris, Quatrième édition 1996.

14. Lahouari Addi, Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu, Le paradigme anthropologique kabyle et ses conséquences théoriques, La découverte, Paris, 2002.

15. Nacib Youssef, Une geste en fragments publisud, paris, 1994.

16. Rachik Hassan, Comment rester nomade, Afrique orient, Casablanca an 2000.

17. Raymond Aron, Les étapes de la pensée sociologique, Edition Gallimard, Paris, 1967.

18. Remaoun Hassan et Autres, L'Algérie, histoire, société et culture, Casbah, Alger, L'an 2000.

ح. المقالات والمجلات باللغة الفرنسية:

1. Awal, L'anthropologie du maghreb selon Berque, Bourdieu, Geertz et Gellner, Ibis press, Paris, 2001.

2. Brahim Salhi, Bilan critique de l'ethnologie en Algérie, Ecole doctorale en Anthropologie, Oran, Année 2006-2007.

3. Debach Ch et autres : Les motivations de la personnalité algérienne en ce temps de décolonisation, In Mutation culturelle et coopération au Maghreb, C.N.R.S, Paris, 1969.

4. Marouf Nadir, Paysans et monde rural, CRASC, Oran.

5. M'hamed Boukhobza, Société nomade et État en Algerie http:/horizon.documentation.ird.fr.

خ. المواقع الالكترونية:

1. http://biosphère.blog.lemonde.Fr
2. http://books.google.com
3. http://horizon.documentation.ird.fr
4. http://lewebpedagogique.com
5. http://ressources.ciheam.org
6. http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp
7. http://www.universalis.fr/encyclopedie/N130291/NOMADISME

8. http://www.ovins.fsaa.ulaval.ca
9. http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/geo
10. http://www.ulum.nl/d213.html
11. http://www.almithnab.net/forum/index.php?showtopic=14074
12. http://www.xavierperon.com
13. http://www.saaid.net/arabic/7.htm

قائمة الملاحق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعي
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة الأنثروبولوجيا

الملحق رقم01: دراسة ميدانية في منطقة الشعيبة

دليل المقابلة: لعنوان الدراسة "انعكاسات النمط الحضري على البدو الرحل دراسة انثروبولوجية بمنطقة الشعيبة بسكرة"

من إعداد الطالبة: **نايلي ايناس**
تحت اشراف الأستاذة: **نتيجة جيماوي**

السنة الجامعية: 2022/2021

إستمارة المقابلة:

المحورالاول: البيانات الشخصية

1. السن: .....

☐

2. **المستوى التعليمي:** أمي ☐ ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي

3. **الحالة العائلية:** أعزب ☐ متزوج ☐ مطلق ☐ أرمل ☐

4. **طبيعة امتلاك نشاط رعوي؟** مالك ☐ أجير ☐

5. من أي عرش(قبيلة) انت؟

6. هل انت من البدو الشراقة ام الغرابة؟

7. هل القطيع لك؟ ام أنك مجرد راعي اغنام لمالك اخر؟

المحور الثاني: تأثير الانعكاسات الحضرية على إنتاج الرعوي والاقتصادي للبدو الرحل؟

أ. **الإنتاج الرعوي:**

1. متى تكون الرحلة الى التل؟

2. كيف يكون فصل الربيع عند البدو الرحل؟

3. ماهي العوائق المناخية التي تواجهونها؟

4. ماهي المحطة التي تقصدونها في الصيف؟

5. كيف تتفاوضون مع ملاك هذه الأراضي؟

6. ماهي مناطق رعي البدو الرحل؟

7. كيف تحمون القطيع من السرقة والحيوانات المفترسة؟

8. ماهي السلالات الجيدة من الغنم وكيف تعرفونها؟

9. ماذا تقصد بالشتلة؟

10. كيف يتم اختيار الفحل للتلقيح؟

11. هل تستعمل العلف والمكملات الغذائية للغنم ام أنك تكتفى بما تقدمه لها من خيرات الأرض؟

12. ماهي هذه الأمراض الحديثة المنتشرة؟

13. ماهي الحيوانات التي تربونها خلافا عن قطيع الغنم والماعز؟

14. هل هناك تقسيم في العمل مع أبنائك أم أن لهم دور أخر في العائلة؟

15. متى يكون رجوعكم الى الصحراء؟

ب. الإنتاج الاقتصادي:

1. هل اختلف السوق بين القدم والحاضر؟
2. كيف يكون الطلب والعرض على هذه الغنم؟
3. كيف يكون البيع والشراء على هذه الغنم؟

المحور الرابع: تأثير المدخلات الحضرية الحديثة على النمط الثقافي والاجتماعي للبدو الرحل؟

1. كيف تكون مضارب الخيام؟
2. ماهي البركة؟ وكيف تتباركون بالقطيع؟
3. هل تقيمون الأعراس في موطنكم الأصلي أم في التل؟
4. ماهي معايير الزواج؟ أو كيف تطلب من أبيك أن يزوجك؟
5. كيف تصنع القشابية والبرنوس؟

ملحق الخرائط

ملحق رقم01: خريطة بلدية الشعبية

المصدر: https://www.google.com/maps/place/chaiba.biskra

الملحق رقم02: خريطة بلدية لازرو

المصدر : https://www.google.com/maps/place/Lazrou.batna

ملحق الصور

ملحق رقم04: خيمة أولاد سايح

فلجة من الجانبين شريطين أبيضين؛ إجمال مساحتها لا يتجاوز 35م^2، نستطيع أن نرى من خلال الصورة أنها مرقعة بأجزاء من القماش والبلاستيك وهي آيلة إلى الزوال بسبب العزوف عن تقليد تجديد الفليجة من كل سنة وهذا راجع بدوره إلى توجه ساكنيها إلى حياة الإستقرار والتوطن.

الملحق رقم05:خيمة أولاد نايل(أولاد رحمة واولاد عيسى او بيت الكبيرة)

المصدر: انجاز الطالب

لا تزال الخيمة النايلية بلونها الأحمر تحافظ على هيئتها الكاملة ومنظرها الجذاب، فساكنيها من أولاد عيسى يعتنون بها أيما إعتناء، إذ تحرس النسوة بشكل خاص على حياكتها باستمرار وتجديد الفليجة المتهرئة منها كل سنة. يتراوح عدد فليجاتها بين الثمانية إلى الإثنى عشر فليجة (5.1/ 12 م) الأمر الذي يعطي الخيمة النايلية مساحة قياسية بالنسبة للخيام الأخرى أي بين 120 م^2 إلى 216 م^2 و تطلى بصباغ خاص كي تحافظ على لونها الأحمر المتميز

الملحق رقم06: خيمة أولاد دراج

القيطون

خيمة حالتها متردية

المصدر: انجاز الطالب

خيمة سوامع بحالة جيدة

تعرف خيمة أولاد دراج بالخيمة السوداء (البيت الكحلة) وهي لا تتعدى مساحتها 50 م^2 على الأكثر ،منها ما هو بال و آخذ في التقهقر كبعض خيم السوامع (الصورة) الذين أصبحوا يستعملون القيطون أكثر فأكثر لأن مقامهم فيها ظرفي وعملية تجديدها لم تعد من الأهمية بما كان والقليل منها فقط لا يزال في حالة جيدة.

الملحق رقم07: البدو يحصدون الفريك

المصدر: انجاز الطالب

يستغل البدو الرحل فرصة تواجدهم بالتل للمشاركة في عملية الحصاد من كل صائفة ببلدية لازرو وهم يقومون ببعض الأعمال الخاصة التي تعجز الآلة عن إنجازها كشحن أكياس القمح والحصاد اليدوي لبعض السنابل التي لم ينضج تماما لغرض حرقها ثم إعدادها لاستخراج ما يعرف بالمنطقة بمادة "الفريك" ذات الجودة الغذائية العالية وكل هذا مقابل أجر يومي يتقاضونه لسد حاجياتهم اليومية فيكونون بذلك قد ساهموا في توفير بعضا من رؤوس أغنامهم.

الملحق رقم08: كبير الجماعة

المصدر : https://m.facebook.com/wladnail/photos

لكبير القوم عند البدو الرحل مكانة هامة فهو مركز الجماعة ومحركها، يأخذ على عاتقه حل مشاكلهم وفض نزاعاتهم، يحضر في كل كبيرة وصغيرة، تمكنه حنكته وتمرسه من فرض نفسه وآرائه على الآخرين، يضفي تواجده بينهم ديناميكية خاصة ويمكنه هاتفه النقال من إنجاز ما يعجز عنه الكثيرين.

الملحق رقم09: الشاحنة عند البدو الرحل

المصدر : انجاز الطالب

أصبحت الشاحنة اليوم تشكل مشهدا من مشاهد الترحال الإعتيادية فلقد عوضت الجمل في شد المتاع وتنظيم عملية الحواسة وكذا نقل القطيع وجلب صهريج الماء

ويمكنك كذلك مشاهدتها كل مساء تربض إلى جانب الخيمة من الجهة الخلفية وهذا كي تستعمل بطاريتها للإنارة ومشاهدة التلفاز كما أنها تكون في مأمن من أي محاولة للسطو عليها في تلك الوضعية المحاذية لمرقد الراحل؛ والشاحنة في أغلب الحال يمتلكها من هم أيسر حالا من الرحل الموالة.

الملحق رقم 10: الرحل و الدراجة النارية

المصدر: انجاز الطالب

عادة ما يكون عدم إمتلاك شاحنة من طرف الراحل علامة عن فقره وإمتهانه الرعي فقط لصالح أصحاب القطيع من الموالة أو أصحاب رؤوس الأموال من التلية، وهو مع ذلك لا يستغني عن خدمة دراجة نارية تسهل عليه قضاء أموره من المدينة أو جلب الماء وحتى تفقد الغنم التي يرعاها أحد الأولاد بين الحين والآخر.

الملحق رقم12: الماعز تقود القطيع

المصدر: انجاز الطالب

تشكل تربية الماعز كحيوان مستأنس ذو مميزات خاصة إحدى الإستراتيجيات المهمة التي يعتمدها الراحل للحفاظ على منظومته القيمية والتقليدية فهو يستهلك لحمه وحليبه من جهة ويذبحه للضيف من جهة أخرى مؤديا واجب الكرم فيكون بذلك قد وفر الشاة وأدى محامد الأخلاق في نفس الوقت.

الملحق رقم 13: المعالف (Les mangeoires)

المصدر: انجاز الطالب

الملحق رقم14: تربية الكلاب عند البدو الرحل

المصدر: انجاز الطالب

يتعايش كلبا السلوقي و البتي أو السعدان جنبا إلى جنب لحراسة حمى الخيمة وقطيع الغنم فبينما يتميز الأول بسرعته الفائقة التي تمكنه من اللحاق بطريدته بكل سهولة نجد الثاني يتميز بقوة بنيته التي تمكنه من الفتكبها فتكا؛ ويحرس الراحل أيضا على إكتساب الكلب الأبيض الذي لا يكاد يبين وسط الغنم ولا يظهر كذلك وسط الطبيعة ليلا أو نهارا (التمويه).

الملحق رقم15: حمار في طريقه لجلب الماء

المصدر: من انجاز الطالب

يستعمل الرحل اليوم الحمار لجلب الماء الشروب والتنقل على ظهره لمسافات بسيطة عكس الماضي غير البعيد أين كانوا يسخرونه لحمل متاعهم والتسوق عليه إلى الأسواق البعيدة .

الملحق رقم16: الدجاج يحمي محيط الخيمة

المصدر:انجاز الطالب

يعمل الدجاج على تنقية محيط الخيمة من الحشرات الضارة وهو أيضا بمثابة منبه طبيعي يعلو صوته تحسسه خطر الأفاعي والعقارب وللمرأة البدوية علاقة خاصة معها فهي التي تعتني بها وتجمع بيضها وتستشعر ما تستشعره .

الملحق رقم17: الجمل في التل

المصدر:

https://m.facebook.com/permalink.php?story_fbid=2357681414469214&id=1409308429306522&locale2=zh_CN

أصبح من النادر اليوم مشاهدة الجمال في التل بل إن رؤيتها من طرف أهل المدن في الشمال أصبح يعد حدثا مهما في حد ذاته وهذا بعدما كان هذا الحيوان يصول ويجول في الماضي البعيد المنطقة كلها ويصنع تاريخها وأمجادها إذ كانت طرق الذهب والحرير طرقه بلا منازع، حتى أفل نجمه شيئا فشيئا إبتداء من ظهور الطرق البحرية وإنتهاء إلى تعميم النقل ذي المحركات في الخمسينات من القرن الماضي

الملحق رقم18: الرجوع للصحراء

المصدر : https://www.skynewsarabia.com/varieties/888471

يشكل الرجوع إلى الصحراء حدثا مهما بالنسبة للبدو الرحل، فالحنين إلى الأهل قد بلغ أشده بعد رحلة شاقة إلى التل المليء بالغوغاء والضجيج .

تكون فرحة الرحل عارمة إذا كان العام ممطرا بالجنوب فالكلأ والماء وفيرين ولا مجال هنا للقلق من ضيق الأراضي والخوف المستمر من ولوج الغنم في الزرع كما هو الحال بالتل.

الملحق رقم19: السوق الأسبوعية لبلدية لازرو

المصدر: انجاز الطالب (للامانة اخ الطالبة لان السوق الأسبوعي لا يدخله النساء)

المصدر: انجاز الطالب (للامانة اخ الطالبة لان السوق الأسبوعي لا يدخله النساء)

الملحق رقم20: البيع و الشراء

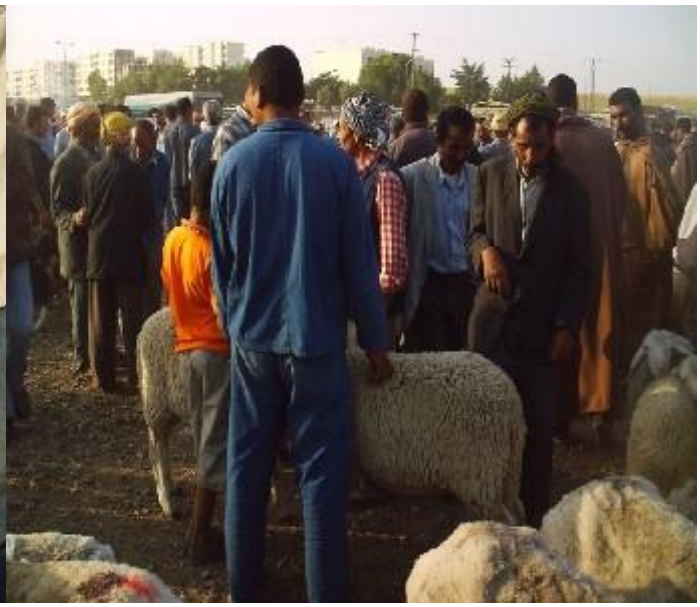

المصدر: انجاز الطالب (للامانة اخ الطالبة لان السوق الأسبوعي لا يدخله النساء)

الملحق رقم21: مضارب الخيام

المصدر: انجاز الطالب

يختار الرحل مضارب خيامهم بعناية فائقة؛ فبالإضافة إلى كونها تنأى نسبيا عن الطريق العام (لا تبعد كثيرا حتى لا تكون معزولة عن العالم ولا تقترب إلى درجة يمكنك رؤية من يحوم حماها) تحتل كذلك مكانا يكون محميا طبيعيا من الرياح وخطر الفيضانات وقد تتغير وضعيتها في نفس المساحة حسب أحوال التقلبات الجوية وإختلاف الفصول.

الملحق رقم22: القشابية

قشابية الصوف **قشابية الوبر**

الملحق رقم22: البرنوس

المصدر:

https://www.aljazeera.net/news/miscellaneous

ملخص الدراسة:

باللغة العربية:

يهدف هذاالبحث الى تسليط الضوء على تركيبة من المجتمع الجزائري تشكل جزءا هاما من ذاكرته الا وهي البدو الرحل وانعكاسات النمط الحضري الحديث عليها دراسة انثروبولوجية بمنطقة الشعيبة بسكرة.

فالبدو الرحل صنعوا الحدث منذ ما يقارب الستة قرون في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة، أي ابتداءًا من مجيء الهلاليون إلى المنطقة في القرن الحادي عشر حيث ويعود أغلب سكان جزائر اليوم إلى هذه الأصول.

ودراستنا لا تهتم بالجانب التاريخي في الموضوع أكثر مما تهتم بالجانب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لما تبقى من بدو رحل في الجزائر، مازالوا يمارسون حياة التنقل والترحال راغبين من خلال ذلك إلى إخراج هذا المجتمع المهمش والتقليدي إلى النور ومحاولين فهم التفاعلات الحاصلة معه اليوم مع ما تعرفه الحياة من تعقيدات العصرنة والحداثة.

باللغة الإنجليزية:

Abstract:

This research aims to highlight a composition of Algerian society that constitutes an important part of his memory, namely nomads and the repercussions of urban style, including an anthropological study in the Chaiba Biskra region.

Nomads have been making the event for nearly six centuries in the Maghreb in general and algeria in particular, starting with the arrival of the Hilalis in the region in the 11th century, where the majority of the Algerian population today returns to these origins.

Our study is no more concerned with the historical aspect of the subject than with the social, economic and cultural aspect of what remains of the nomads in Algeria, they still practice the life of mobility and travel, wanting through it to highlight this marginalized and traditional society and trying to understand the interactions that take place with it today with what life knows of the complexities of modernization.

Key words: nomads-Bedouin society-traditional grazing -urban reflections